الصورة الصحفية للنزاع المسلح الداخلي في سوريا
بين صحيفتي العرب القطرية وهآريتس الإسرائيلية
(دراسة تحليلية)

Journalistic Image of Internal Armed Conflict in Syria Between Al-Arab Qatari Newspaper Ha'aretz Israeli Newspaper &
(Analyitical Study)

إعداد
مصطفى أكرم مصطفى بدر

إشراف
أ.د. حميدة سميسم

رسالة لنيل درجة الماجستير في الإعلام
كلية الإعلام – جامعة الشرق الأوسط

2012/2013

بسم الله الرحمن الرحيم

تفويض

أنا الطالب **مصطفى أكرم مصطفى بدر** أفوّض جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا بتزويد نسخ من رسالتي ورقياً والكترونياً للمكتبات أو المنظمات أو الهيئات والمؤسسات المعنية بالأبحاث والدراسات العلمية عند طلبها.

الإسم: مصطفى أكرم مصطفى بدر

التاريخ: 7-9-2013

التوقيع.....

د

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة بعنوان "الصورة الصحفية للنزاع المسلح الداخلي في سوريا بين صحيفتي العرب القطرية وهآريتس الإسرائيلية (دراسة تحليلية)" وأجيزت بتاريخ: 25/8/2013.

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم	الصفة	جهة العمل	التوقيع
أ.د. حميدة سميسم	رئيساً ومشرفاً	جامعة الشرق الأوسط	
د. رائد البياتي	ممتحناً داخلياً	جامعة الشرق الأوسط	
أ.د. عبد الرزاق الدليمي	ممتحناً خارجياً	جامعة البتراء	

الشكر والتقدير

يتقدم الباحث بالحمد والشكر لله تعالى عزّ وجلّ على فضله ونعمه..
ولوالديه الكريمين حفظهما الله الذين لولا دعمهما وحبّهما لما كتب هذه الدراسة..
ولجديه رحمهما الله وجدتيه حفظهما الله..
ولمشرفته الفاضلة أ.د.حميدة سميسم التي كانت كأمٍ ثانيةٍ للباحث..
ولأساتذته ومدرسيه الأفاضل واحداً واحداً..
ولأعضاء لجنة المناقشة الكرام..
ولكل من وقف إلى جانبه وسانده..

الباحث

الإهداء

أهدي هذا البحث إلى والديّ الكريمين الذان لطالما وقفا لجانبي, وإلى كل الصحفيين الذين يخاطرون بحياتهم لإيصال الحقيقة الصادقة, وبالتأكيد إلى الشعبين السوري والفلسطيني.

الباحث

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
العنوان	أ
البسملة	ب
التفويض	ج
قرار لجنة المناقشة	د
الشكر والتقدير	هـ
الإهداء	و
فهرس المحتويات	ز
قائمة الجداول	ي
قائمة الأشكال والصور	ك
قائمة الملحقات	ل
الملخص بالعربية	م
الملخص بالإنجليزية	ن
الفصل الأول: مقدمة الدراسة	١
تمهيد	١
مشكلة الدراسة	٣
أهداف الدراسة	٤
أهمية الدراسة	٤
أسئلة الدراسة	٥
حدود الدراسة	٦
محددات الدراسة	٦
مصطلحات الدراسة	٧
الفصل الثاني: الإطار النظري والدراسات السابقة	١٠
تمهيد	١٠
نظرية تحديد الأجندة	١١
نظرية الأطر الخبرية	١٢
المبحث الأول: وسائل الصحافة والإعلام	١٣

الإعلام مفهوماً وتعريفاً	١٣
وظائف وسائل الإعلام واستخداماتها	١٤
خصائص وسائل الإعلام المقروءة (المطبوعة)	١٧
السياسات الإعلامية	١٨
الصحافة والأخبار	١٩
الصحافة الإسرائيلية وتطويرها	٢٠
هآريتس	٢٣
الصحافة القطرية وتطورها	٢٤
جريدة العرب	٢٥
المبحث الثاني: التصوير الصحفي	٢٦
الصورة الصحفية	٢٦
تطور التصوير الصحفي	٢٨
أنواع التصوير ومجالاته	٣٠
عناصر الصورة الصحفية	٣٣
الصورة والإخراج الصحفي	٣٥
الدراسات السابقة	٣٨
الدراسات العربية	٣٨
الدراسات الأجنبية	٤٢
الفصل الثالث: منهج الدراسة	٤٤
منهج البحث	٤٤
مجتمع الدراسة	٤٦
عينة الدراسة	٤٦
أدوات الدراسة	٤٧
صدق الأداة	٤٧
ثبات الأداة	٤٨
متغيرات الدراسة	٤٨
المعالجة الإحصائية	٤٩

إجراءات الدراسة	٤٩
الفصل الرابع: نتائج الدراسة	٥١
عدد الصور المنشورة	٥١
نوع الصور المنشورة	٥١
علاقة الصور بالنزاع المسلح الداخلي في سوريا	٥٢
الإخراج الصحفي للصورة الصحفية ذات العلاقة بأحداث سوريا	٥٣
مواضيع الصور الصحفية الخاصة بأحداث سوريا	٥٦
ملاحظات الباحث خلال التحليل	٥٩
الإجابة على تساؤلات الدراسة	٥٩
الفصل الخامس: مناقشة النتائج والتوصيات	٦٣
نتائج الدراسة	٦٣
توصيات الدراسة	٦٣
المراجع	٦٥
الملاحق	٧٧
الصور	١١٣

قائمة الجداول

الجدول	الصفحة
جدول رقم (1) **التوزيع التكراري والنسبي لعدد الصور المنشورة في كلٍ من صحيفتي العرب وهآريتس عام 2012**	٥١
جدول رقم (2) **التوزيع التكراري والنسبي لنوع الصور المنشورة في صحيفة هآريتس لعام 2012**	٥١
جدول رقم (3) **التوزيع التكراري والنسبي لنوع الصور المنشورة في صحيفة العرب لعام 2012**	٥٢
جدول رقم (4) **التوزيع التكراري والنسبي لعدد الصور ذات العلاقة بالنزاع في سوريا والمنشورة في كلٍ من صحيفتي العرب وهآريتس عام 2012**	٥٢
جدول رقم (5) **التوزيع التكراري والنسبي للصور الملونة ذات العلاقة بالنزاع في سوريا والمنشورة في كلٍ من صحيفتي العرب وهآريتس عام 2012**	٥٣
جدول رقم (6) **التوزيع التكراري والنسبي لحجم الصور ذات العلاقة بالنزاع في سوريا والمنشورة في صحيفة هآريتس لعام 2012**	٥٣
جدول رقم (7) **التوزيع التكراري والنسبي لحجم الصور ذات العلاقة بالنزاع في سوريا والمنشورة في صحيفة العرب لعام 2012**	٥٤
جدول رقم (8) **التوزيع التكراري والنسبي لموقع الصور ذات العلاقة بالنزاع في سوريا داخل الصفحة والمنشورة في صحيفة هآريتس لعام 2012**	٥٤
جدول رقم (9) **التوزيع التكراري والنسبي لموقع الصور ذات العلاقة بالنزاع في سوريا داخل الصفحة والمنشورة في صحيفة العرب لعام 2012**	٥٥
جدول رقم (10) **التوزيع التكراري والنسبي لمكان الصور ذات العلاقة بالنزاع في سوريا داخل الصحيفة والمنشورة في صحيفة هآريتس لعام 2012**	٥٥
جدول رقم (11) **التوزيع التكراري والنسبي لمكان الصور ذات العلاقة بالنزاع في سوريا داخل الصحيفة والمنشورة في صحيفة العرب لعام 2012**	٥٦
جدول رقم (12) **التوزيع التكراري والنسبي لمواضيع الصور ذات العلاقة بالنزاع في سوريا داخل والمنشورة في صحيفة هآريتس لعام 2012**	٥٧
جدول رقم (13) **التوزيع التكراري والنسبي لمواضيع الصور ذات العلاقة بالنزاع في سوريا داخل والمنشورة في صحيفة العرب لعام 2012**	٥٨

قائمة الملاحق

الملحق	الصفحة
ملحق رقم 01: كشاف تحليل المضمون الخاص بالدراسة	٧٧
ملحق رقم 02: محكمي كشاف تحليل المضمون الخاص بالدراسة	٧٨
ملحق رقم 03: التاريخ الجيوسياسي للجمهورية العربية السورية	٧٩

قائمة الصور

الصورة	الصفحة
صورة رقم 1	١١٣
صورة رقم 2	١١٣
صورة رقم 3	١١٤

«الصورة الصحفية للنزاع المسلح الداخلي في سوريا بين صحيفتي العرب القطرية وهآريتس الإسرائيلية (دراسة تحليلية)»

إعداد: مصطفى أكرم بدر
إشراف: أ.د. حميدة سميسم

الملخص باللغة العربية

تتحدث هذه الدراسة عن الصور الصحفية للنزاع المسلح الداخلي في سوريا, حيث قام الباحث بتحليل مضمون تلك الصور المنشورة في صحيتفي العرب القطرية وهآريتس الإسرائيلية لمعرفة مضامينها واتجاهاتها ودلالاتها, والمقارنة بينهما. واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي المقارن لتحقيق هذه الغاية.

وترجع أهمية الصورة في قوتها الإتصالية وفاعليتها, وعلاقتها القوية بأجندة القائمين بالإتصال وأولوياتهم. وكان اعتماد الباحث في هذه الدراسة على نظريتي الأطر الخبرية وتحديد الأجندة, وكليهما تعتمدان على القائم بالإتصال, وتكلم الباحث عن الصحافة والإعلام وخصائصهما, كما تحدث عن السياسات الإعلامية لكل مؤسسة, وسرد نبذةً عن الصحافة القطرية والإسرائيلية, وعن صحيفتي العرب وهآريتس. وتطرق الباحث أيضاً بالحديث عن التصوير الصحفي وتاريخه ووظائفه وأنواعه إضافةً للإخراج الصحفي وأهمية الصورة في الإخراج.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن صحيفة العرب القطرية تهتم بشكلٍ أكبر بالنزاع المسلح في سوريا من هآريتس الإسرائيلية, بينما تهتم الأخرى كيفاً, ولكلٍّ منهما اتجاهاته المختلفة حول النزاع من حيث نشر الصور.

«Journalistic Image of Internal Armed Conflict in Syria Between Al-Arab Qatari Newspaper & Haaretz Israeli Newspaper (Analytical Study)»

Done By: Mustafa A. Bader
Supervision: Phd. Hamida Sumeisem

Abstract in English

This study talks about the journalistic images of the internal armed conflict in Syria, where the researcher analyzed the content of those images published in the both of Al-Arab Qatari newspaper and Ha'aretz Israeli newspaper, to know their contents, attitudes and significations, and to compare between them. The researcher used the Descriptive Comparative Analytical Approach to achieve this end.

The importance of the image is in the strength and effectiveness of connectivity, and it's strong relationship with senders and their agenda and priorities. The adoption of the researcher in this study was on the News Framing theory and Agenda Setting theory, and both rely on the sender, and the researcher wrote about the properties of press & media, and about the media policies, and about Qatari and Israeli press, and Al-Arab and Haaretz newspapers. The researcher also addressed by talking about photojournalism and its history, functions and types. in addition he talked about the layout and the importance of images to it.

Among the most important results of the study were that Al-Arab Qatari newspaper is more interested in the armed conflict in Syria than Ha'aretz Israeli newspaper quantitevly, while the other is more interester qualitively.And each with different trends on the conflict in terms of the content of published images.

الفصل الأول: مقدمة الدراسة

1- تمهيد:

الرؤية هي التصديق, وهي خَير بيِّنة, فالعين أقرب من الأذن إلى القلب, ونتأثر بما نرى أكثر من تأثرنا بما نسمع, وهنا يأتي دور الصورة, فهي تنقلنا لمكان الحدث, وبها ندخل ضمن نطاقه لنكون شهوداً عليه. وفي الصحافة تعتبر الصورة أكبر تأكيدٍ لصحة الخبر, وكلما توفرت صورٌ للخبر الصحفي كلما ازدادت مصداقيته. ويمكن تسمية هذا العصر بـ "عصر الصورة"؛ فقد أصبحنا نعتمد على الصورةِ بشكلٍ كبيرٍ في أمورنا الإتصالية, وأصبح الإتصال البصري يأخذ حيزاً أكبر من ذي قبل, وهذا أساسيٌ مع التطورِ الحاصل هذه الأيام على وسائل الإتصال كما يرى الباحث؛ حيث أضحت هناك حاجةٌ ماسّة لتأكيد الخبر الصحفي وتعزيز العملية الإتصالية بشكلٍ عام.

وكان لسوريا أهميةٌ على مرّ العصورِ كونها المركز التاريخي والحضاري لبلاد الشام, وفي الحاضر فإن الجمهورية العربية السورية لها أهميةٌ إستراتيجيةٌ ووزنٌ في المنطقة, وأي تغييرٍ فيها سينعكس سلباً أو إيجاباً على المنطقة وخصوصاً على القضية الفلسطينية –محور الصراع الدولي في القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين–, حيث أن الباحث يؤيد قول هنري كسنجر Henry Kissinger: "لا حرب بدون مصر ولا سلام بدون سوريا"؛ لذلك يجب استشعارُ أي تغيَرٍ قد يطرأ على سوريا ودراسته بموضوعيةٍ بعيداً عن الميول العاطفية, وتحديداً التغير السياسي؛ فمن الصعب التنبؤ بتبعات هذا التغير الذي من المحتمل أن تؤثر نتائجه بشكلٍ كبيرٍ وملموس على القضية الفلسطينية.

وفي الأزمة السورية التي انفجرت منذ مارس 2011 أبدت دولٌ مثل قطر (التي سعت جاهدةً في العقود الأخيرةِ لنيل مكانةٍ سياسيةٍ واستراتيجيةٍ مهيمنةٍ على المنطقة) تأييداً كاملاً للمعارضة السورية كما لاحظ الباحث, بينما تباينت الآراء وردود الفعل الإسرائيلية حول الموضوع, فبعض الأطراف الإسرائيلية أيّدت المعارضة, فيما فضّلت جهاتٌ أخرى بقاء النظام الحالي. وهنا يأتي دور الدراسات الإعلامية في استشعار مدى اهتمام كلى الطرفين إعلامياً بالأزمة والمقارنة بينهما, حيث يتم الإعتماد على تحليل مضمون وخطاب الصور الخاصة بالنزاع في سوريا, والمنشورة في صحيفتين احداهما قطرية والأخرى إسرائيلية.

وسعى الباحث في هذه الدراسة إلى إظهار الموقفين الإسرائيلي والقطري من الأحداث في سوريا عن طريق مقارنة صحيفةٍ إسرائيليةٍ بأخرى قطرية, حيث من الممكن أن يساعد ذلك في إبراز جزءٍ من المعطيات التي قد تساهم في صقل اتجاهات القادة وصنّاع القرار الجادّين والملتزمين تجاه القضية الفلسطينية كي يتخذوا المواقف والقرارات بخصوص ما يجري في سوريا, وذلك من خلال إظهار وجهة نظر كلٍ من الصحيفتين اللتان تعبران عن سياسات بلديهما حول الموضوع. والجدير بالذكر أن هذه الدراسة تمتاز بأنها أول دراسة عربية وعالميةٍ في حدود علم الباحث حول الصور الصحفية للنزاع المسلح الداخلي في سوريا.

2- مشكلة الدراسة:

لا تعد الصحافةُ مجرد ناقلٍ لأخبار النزاعات والحروب, بل هي بحدّ ذاتها مشاركٌ أساسيٌ فيها. وبالتالي فإن الصورة الصحفية هي ركنٌ أساسيٌ من أركان الإعلام, بل من أهمّ أركانه, وكما قال آرثر بريسبان Arthur Brisbane أحد أهم المحررين الصحفيين في القرن العشرين: "الصورة تساوي ألف كلمة".(Wikipedia,2012)

وتسعى هذه الدراسة للوقوف على مضامين ومدلولات الصورة الصحفية في النزاع المسلح الداخلي القائم في سوريا من خلال توظيف هذه الصورة في نموذجين صحفيين, الأول هو الصحافة القطرية, والثاني هو الصحافة الإسرائيلية. ومن هنا تتمحور مشكلة الدراسة حولما يلي:

- كيفية توظيف الصورة الصحفية للنزاع المسلح الداخلي في سوريا في صحيفتي العرب القطرية وهآريتس الإسرائيلية, حيث أن أحدهما عربية مؤيدة لإحداث التغيير الجذري في سوريا, وأخرى إسرائيلية تراقب الأحداث عن كثب وتترقب ما ستؤول إليه الأمور دون الإفصاح عن موقفٍ ثابت وواضح من هذا التغيير.

- كمية الصور الصحفية للنزاع المسلح الداخلي في سوريا في صحيفتي العرب القطرية وهآريتس الإسرائيلية. وكذلك تحديد ماهية المواضيع التي تركز عليها صحافة البلدين في الصور الصحفية المنشورة حول النزاع في سوريا, سواء كانت انتهاكاتاً ضد المدنيين, أو التدمير المادي للمباني والبنى التحتية والممتلكات, أو الأنشطة العسكرية لقوى المعارضة, أو الأنشطة العسكرية للجيش النظامي, أو على صعيد الصور الشخصية, أو صور الجهود الدبلوماسية لحل النزاع؛ حيث أن نتائج هذه الدراسة ستوضح إتجاهات القائمين بالإتصال حول الأزمة السورية من خلال الدلالات والمضامين المتوفرة.

3- أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

أ- معرفة مضامين الصور الصحفية المنشورة حول النزاع المسلح الداخلي في سوريا في كلٍ من صحيفة العرب القطرية وهآريتس الإسرائيلية.

ب- معرفة اتجاهات الصور الصحفية المنشورة حول النزاع المسلح الداخلي في سوريا في كلٍ من صحيفة العرب القطرية وهآريتس الإسرائيلية, عن طريق تحديد المواضيع التي تركّز عليها كلٌ منهما.

ت- معرفة دلالات الصور الصحفية المنشورة حول النزاع المسلح الداخلي في سوريا في كلٍ من صحيفتي العرب القطرية وهآريتس الإسرائيلية.

ث- تحديد الصحيفة الأكثر اهتماماً بالأزمة السورية عن طريق المقارنة بينهما من خلال تحديد الصحيفة الأكثر نشراً والتي تخصص حيزاً أكبر للصور الصحفية المتعلقة بالنزاع في سوريا.

4- أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في:

أ- معرفة إتجاهات القائمين بالإتصال في كلٍ من صحيفتي العرب القطرية وهآريتس الإسرائيلية, مما قد يفيد السّاسة وصنّاع القرار الملتزمين تجاه القضية الفلسطينية في إتخاذ القرارات السليمة تجاه النزاع الحاصل في سوريا, عن طريق قراءة الخطابين القطري والإسرائيلي.

ب- المقارنة بين إتجاهات كلٍ من الصحافة القطرية والإسرائيلية حول النزاع في سوريا ومقارنة حجم الإهتمام بين الصحافة في كلٍ من البلدين حول الموضوع, مما يعزز الدراسات المقارنة بين الإعلام العربي والإسرائيلي عامّة والقطري والإسرائيلي خاصّةً حول قضايا الشرق الأوسط.

ت- تعزيز الدراسات التحليلية للصور الصحفية, لتكون هذه الدراسة إضافة جديدةً, وتعزيز الدراسات الإعلامية حول النزاع القائم في سوريا, والتي لا تزال نادرة لحداثة الموضوع ولكون النزاع مستمراً حتى الآن (أغسطس ٢٠١٣).

5- أسئلة الدراسة:

تحاول هذه الدراسة أن تبين إتجاهات القائمين بالإتصال في كلٍ من الصحافة القطرية والإسرائيلية المتمثلة بصحيفتي العرب وهآريتس حول النزاع المسلح الداخلي في سوريا, وتسعى الدراسة للإجابة عن الأسئلة التالية:

أ- ما هي إتجاهات الصور الصحفية المنشورة حول النزاع المسلح الداخلي في سوريا في كلٍ من صحيفتي العرب وهآريتس؟

ب- ما هي مضامين الصور الصحفية المنشورة حول النزاع المسلح الداخلي في سوريا في كلٍ من صحيفتي العرب وهآريتس؟

ت- ما هي دلالات الصور الصحفية المنشورة حول النزاع المسلح الداخلي في سوريا في كلٍ من صحيفتي العرب وهآريتس؟

ث- أي الصحيفتين هي الأكثر اهتماماً بالأزمة السورية؟

ج- ما هي المواضيع التي تركز عليها كلٌ من الصحيفتين في الصور الصحفية المنشورة حول النزاع في سوريا؟

6- حدود الدراسة:

تمت الدراسة فيما يلي:

- الحدود المكانية: صحيفة العرب التي تصدر في قطر, و صحيفة هآريتس التي تصدر في إسرائيل.

- الحدود الزمانية: اقتصرت الدراسة على أرشيف الصحيفتين ابتداءاً من 2012-1-1 و حتى 2012-12-31, مع اختصار الأعداد الصادرة يوم السبت (نظراً لعدم صدور جريدة هآريتس يوم السبت كما هو حال الصحف العبرية المختلفة) إضافةً إلى الأيام التي لم تصدر أو تتوفر فيها أعدادٌ لاحدى الصحيفتين, مع العلم أن الأزمة قد انفجرت في منتصف مارس من عام 2011م.

7- محددات الدراسة:

تتمثل محددات الدراسة فيما يلي:

- ربما لا يمكن تعميم نتائج تحليل مضمون الصور الصحفية الخاصة بالأزمة السورية والمنشورة صحيفة هآريتس بشكلٍ كامل على كافة الصحف الإسرائيلية لتباين سياسات الصحف الإسرائيلية حول القضايا الإنسانية العربية, بعكس صحيفة العرب القطرية والتي تتقارب في الآراء ووجهات النظر مع أغلب الصحف القطرية بشكلٍ كبير.

8- مصطلحات الدراسة:

الصورة الصحفية (Journalistic Image): هي الصورة التي نجد فيها الحدث أو القصة التي نقرأها, و لذلك فهي بمثابة مكملٍ للرواية الخبرية و تستخدم في تصوير و عرض جوانبها ليصبح القارئ شاهداً على الحدث. و لا تعتبر الصورة عنصراً إخبارياً فحسب, بل تعتبر عنصراً جمالياً كذلك, و أصبحت تعبّر عن الأفكار و الآراء كما تعبر عن الأخبار و الأحداث؛ فالصورة لغةٌ عالمية يفهمها الجميع. (محمد حجاب, 2004, ص336)

النزاع المسلّح الداخلي (Internal Armed Conflict): و يشار إليه غالباً بـ (الحرب الأهلية Civil War), و هو نزاع يجري داخل أراضي دولة واحدة, بين قواتها المسلحة و قوات مسلحة منشقة أو جماعات مسلحة منظمة أخرى تمارس, تحت قيادة مسؤولة, سيطرتها على جزء من الأرض بصورة تمكنها من تنفيذ عمليات مسلحة متواصلة و منسقة.(فرانسواز سولنييه, 2004, ص 625)

الأزمة السورية (Syrian Crysis): و هو النزاع المسلّح القائم (ديسمبر 2012) في الجمهورية العربية السورية بين القوات الموالية لحكومة حزب البعث و الذين يسعون لإسقاطها. و قد بدأ النزاع منذ 2011-3-15 ابتداءاً باحتجاجاتٍ على الصعيد الوطني كجزءٍ من الربيع العربي, أو ما يسمى. و يطالب المتظاهرون باستقالة الرئيس السوري بشار الأسد و إنهاء حكم حزب البعث الذي استمر لخمسة عقودٍ متتالية. و انتشرت قوات الجيش السوري منذ أبريل من عام 2011 في المدن السورية للتعامل مع المتظاهرين بعدما حصلت على أوامرٍ بفتح النار على المتظاهرين و تصاعدت الأزمة و سقط آلاف القتلى, و في أواخر شهر يوليو من عام 2011 تأسس الجيش السوري الحرّ كجيشٍ مقاتلٍ تابعٍ للمعارضة السورية, و لا تزال الأزمة مستمرة (أغسطس 2013) حيث زاد عدد الخسائر البشرية عن الأربعين ألفاً. (Wikipedia,2012)

الصحافة (Journalism): من صحيفة جمع صحائف أو صحف, و الصحيفة هي الصفحة, و صحيفة الوجه أو صفحة الوجه هي: بشرة الجلد, و الصحيفة أو الصفحة هي القرطاس المكتوب, أو ورقةٌ كتب بوجهيها. و ورقة الجريدة بها وجهان؛ فسميت: صحيفة, و علمها أو فنّها سمّي: صحافة. و مزاولها يسمى: صحفياً. و باللغة الإنجليزية إسمها Journalism من أصل

Journal و هي إحدى مشتقان كلمة Jour الفرنسية, أي: يوم, و كلمة Journale بالفرنسية تعني بالأساس: يومي. و في قاموس أوكسفورد Oxford Dictrionary تستخدم كلمة صحافة بمعنى Press و هي شيءٌ مرتبطٌ بالطباعة و نشر الأخبار و المعلومات و هي تعني أيضاً Journal و يقصد بها الصحيفة و Journalism بمعنى الصحافة و Journalist بمعنى الصحفى. و هنا نستنتج أن الصحافة هي صناعة إصدار الجرائد و المجلات, و ذلك باستقاء الأخبار, و كتابة الموضوعات الصحفية من تحقيقات و أحاديث و مقالات و أعمدة, و جمع الصور و الإعلانات و نشر كل ذلك في الجرائد و المجلات و تولي إدارتها.(محمد حجاب, 2004, ص 315)

صحيفة هآريتس (הארץ): صحيفة يومية صباحية إسرائيلية, تصدر منذ العام 1918, تحتجب أيام السبت كباقي الصحف اليومية الإسرائيلية. و هي مستقلةٌ عن الأحزاب الإسرائيلية لكنها تميل إلى تأييد أحزاب الوسط, و تدعم مواقف الشخصيات القيادية المالية؛ لتشجيع البرجوازية المحلية. و تعتبر أكثر الصحف الإسرائيلية رصانةً و اتزاناً, و تنشر مقالاتٍ و تعليقاتٍ بأقلام شخصياتٍ و كتابٍ و مراسلين متعددي الإتجاهات, هذا بالإضافة لإتخاذها مواقف مستقلة تكون حيناً مؤيدة و حيناً معارضة للحكومة و الفئات السياسية الأخرى.(حبيب قهوجي, 1974, ص239)

صحيفة العرب: هي أول صحيفةٍ يوميةٍ قطرية شاملة تصدر عن "دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع", صدر أول عددٍ منها بتاريخ 1972-3-6, امتازت بتحقيقاتها الصحفيةِ وتحليلاتها السياسية وتنوعها وشموليتها, وتبنيها للعديد من القضايا العربية, وكان لها مراسلون في العواصم المختلفة. (محمد وسيف الدين والصاوي, د.ت. ص48-52) وتوقف اصدارها في العام 1996, ليعود مجدداً في العام 2007. (صحيفة العرب, 2013)

تحليل المضمون (Content Analysis): هو أي إجراءٍ منتظم يستخدم لفحص مضمون المعلومات المسجلة, كما عرّفه (وايزر و ويينر Wailizer & Wienir). أما (كريبندورف Krippendorf) فقد عرّفه كتكنيكٍ بحثي من أجل صنع إحالاتٍ من البيانات القابلة للتكرار. (ويمر ودومينيك, 1989, ص205)

الإتجاه (Attitude): هو حالةٌ من الاستعداد أو التأهب النفسي والعصبي تولّد تأثيراً ديناميكياً على استجابة الفرد, تساعدهُ على اتخاذ القرارات المناسبة سواء كان بالرفض أو الإيجاب فيما يتعرض له من مواقف أو مشكلات, ويتأثر بالخبرات التي مرّ بها من ناحية, وبالسمات المزاجية من ناحيةٍ أخرى. (محمد حجاب, 2004, ص8)

الدلالة (Signification): هي الأمور التي تكون وراء المضمون, ففي علم النفسي الإجتماعي يُبحث عن دلالة السلوك والعلاقة بين الحدث والأسباب المؤدية إليه, سواء كانت عضويةً أم ذهنية. وفي علم الاجتماع يراد بالفهم الوقوف على الدلالة الحقيقية للسلوك والأعمال الجمعية, وفي الإثنولوجيا لا تصبح مظاهر الطبيعة ثقافةً إلا إن دلّت على أشياء معينة. (محمد حجاب, 2004, ص253)

الفصل الثاني: الإطار النظري و الدراسات السابقة

يتناول هذا الفصل الإطار النظري الذي اعتمده الباحث في هذه الدراسة, كما يتناول الدراسات العربية والأجنبية التي لها علاقةٌ بتحليل مضمون الصورة الصحفية أو الدراسات التي لها علاقةٌ بالأزمة السورية, أو حتى الدراسات الشبيهة منهجياً.

1- تمهيد:

تعتبر الصحافة هي الواجهة الرئيسية والمرآة التي تعكس ما بداخل أيّ بلد؛ فهي النتاج الفلسفي والثقافي والمعرفي والعاطفي لذلك البلد. وأهمية الصحافة ليست كناقلٍ للخبر فحسب, بل إن الصحافة هي أداةٌ من أدوات صناعة الخبر والأحداث.

وفي الحروب والنزاعات تعتبر الصحافة جزءاً لا يتجزأ منها؛ فتأثيرها القويّ جعلها سلاحاً أفتك من الدبابة والبندقية. وإن أردنا معرفة تفكير الطرف الآخر, علينا أن نتابع صحافته, ونحلل مضمونها وخطابها, لنرى ماذا تحمل في طيّ جعبتها من أمورٍ قد تغدوا أحياناً مفاجئةً للباحثين.

وفي النزاع المسلح الداخلي في سوريا تباينت آراء الشارع العربي والإسلامي والمجتمع الدولي بين مؤيدٍ ومعارضٍ للمعارضة السورية, والحكومة. فقد اعتبر قسمٌ كبيرٌ من الشارع العربي والإسلامي أن الحراك السوري القائم هو فرصةٌ للتخلّص من النظام القائم منذ 43 عاماً, والذي يرون أنه خذل كثيراً من تطلعاتهم كقوميين عرب أو إسلاميين, وبأنه نظامٌ مستبدٌ وفاسد. بينما يرى القسم الآخر أن الحراك الحاصل هو مؤامرةٌ أمريكيةٌ لإلحاق سوريا بنظيراتها (العراق, تونس, ليبيا, مصر, اليمن), وأن زوال النظام القائم في سوريا لن يؤدي إلا لمزيدٍ من الفوضى وعدم الإستقرار كما أخواتها السالف ذكرها, والتي ربما تصل حدّ التقسيم الجغرافي للبلد على أساسٍ طائفيٍ أو عرقي.

ومن هنا قام الباحث بتحليل الصور الصحفية المنشورة حول النزاع السوري في كلٍ من الصحافة القطرية المؤيدة للمعارضة بشكلٍ قاطع, والإسرائيلية ذات الموقف الضبابي؛ لرؤية إن كان هناك تقاربٌ في المضامين بين كلٍ منهما, و إيضاح الموقف الإسرائيلي من النزاع.

2- نظرية تحديد الأجندة (الأولويات) Agenda Setting Theory:

إن المبدأ الأساسي لهذه النظرية هو وجود علاقةٍ وثيقةٍ بين طريقة عرض وسائل الإعلام, وبين ترتيب أهمية هذه الموضوعات, من وجهة نظر متابعي الأخبار. والمفترض أن يراعي القائمون بالإتصال, بأن تكون هناك علاقةٌ إيجابيةٌ بين ترتيب أولويات الوسيلة الإعلامية واهتمامات الجمهور ورغباتهم. (محمد حجاب, 2010, ص310)

فلو افترضنا أن احدى الصحف مهتمةُ بنشر قضيةٍ ما, فإنها ستقوم بالإكثار من نشر الأخبار والصور والمقالات المتعلقة بها, مما يؤدي إلى زيادة اهتمام الجمهور بهذه القضية, وبحوث الأجندة تقوم ببحث العلاقة الارتباطية بين ترتيب مفردات المحتوى من خلال عمليات التحليل, وبين الترتيب الذي يقدمه الجمهور من وجهة نظره, وذلك عن طريق الإجراءات المنهجية للبحث, وبناءاً على نتائج هذه العلاقة التي تأكدت إيجابياتها في معظم الدراسات الإعلامية تقريباً, فقد اتجه الرأي إلى دراسة تأثير وسائل الإعلام على بناء أجندة الجمهور بالقضايا والموضوعات المطروحة. (محمد حجاب, 2010, ص310)

ونظرية تحديد الأجندة تركزّ انتباه الجماهير حول قضيّة معينة باستخدام الرسائل الإعلامية, وتوضّح بشكلٍ تجريبي الروابط بين التعرّض لوسائل الإعلام, وتوجيه الجماهير نحو اتجاه معيّن, ومدى إدراك الجمهور للقضايا العامّة. ولدى هذه النظرية نقاط ضعفٍ تتمثل في أن النظرية مشتقة من نظريات المجتمع الشامل, ومختصةٌ بالأخبار و الحملات السياسية, و كذلك فإن إتجاهات تأثيراتها مشكّكٌ بها من البعض. (Baran & Davis,2009, P.282)

ويرى الباحث أن هذه النظرية هي الداعم الأساسي له في هذه الدراسة؛ فالباحث هنا يحاول اثبات اهتمامات الصحافة الإسرائيلية ومقارنتها بالقطرية حول النزاع المسلح في سوريا, عن طريق مقارنة كمية, وحجم, ومضامين الصور المنشورة الخاصة بهذا النزاع. فمعروفٌ أن الصحافة القطرية تدعم المعارضة السورية بشكلٍ كبير وتهتم بها, لكن موقف إسرائيل ضبابي وغيرُ واضح, وبناءاً على هذه النظرية فإن الباحث سيقيس مدى اهتمام إسرائيل بالأزمة السورية عن طريق تحليل مضمون الصور الصحفية في هآريتس ومقارنتها بالقطرية.

3- نظرية الأطر الخبرية News Framing Theory:

تستخدم هذه النظرية لقياس وتحليل مضمون الرسالة الإعلامية المنقولة في الخطاب الإعلامي حول حدثٍ معين أو قضيةٍ معينة, حيث أن مفهوم الإطار له دلالةٌ إعلامية, ويسهم إلى التعرف لدور وسائل الإعلام في تشكيل إتجاهات الرأي العام حول الموضوعات المختلفة.

وتتيح هذه النظرية قياس المضمون الإعلامي, وتقدم تفسيراً لدور وسائل الإعلام في تشكيل الأفكار, والإتجاهات إزاء القضايا المختلفة والمطروحة في وسائل الإعلام. وتقوم النظرية على تحديد 4 جوانب للإطار النظري. وتركّز النظرية على جانبٍ محدد من الوسيلة الإعلامية, وتتجاهل الجوانب الأخرى, مما يعني أن على الباحث أن يقوم بانتقاء جانبٍ محدد من جوانب القضية, والتركيز عليه دون الجوانب الأخرى للحدث. (Entman,1991)

وهناك أربع وظائف لتحليل الإطار الخبري كما يحددها إنتمان Entman و هي: (Entman,1991)

أ- تحديد المشكلة أو القضية بدقة.
ب- تشخيص أسباب المشكلة.
ت- وضع أحكام أخلاقية.
ث- إيجاد حل للمشكلة.

ويرى الباحث أن هذه النظرية تعدّ مكملةً للنظرية السابقة, فلا يمكننا الاستعانة بتحديد الأولويات وحدها دون الإطار الخبري.

4- المبحث الأول: وسائل الصحافة والإعلام

الإعلام مفهوماً وتعريفاً

إنّ كلمة إعلام تعني اساساً الإخبار والتقديم المعلومات, ويتّضِحُ من هذه العملية (عملية الإخبار) وجودَ رسالةٍ إعلامية, تنتقلُ في اتجاهٍ واحدٍ من مرسلٍ إلى مستقبل, أي حديثٌ من طرفٍ واحد. وكوّن الإعلام يعني نقل المعلومات والأخبار والأفكار والآراء (الرسائل), فهو في الوقت نفسه يشملُ أيّة إشاراتٍ أو أصوات يمكن تلقيه أو تخزينه من أجل استرجاعه مرةً أخرى عند الحاجة (اسماعيل عبد الكافي, 2010, ص11). ويرى الباحث أن اتجاه قنوات الإتصال لا يكون من جهةٍ واحدةٍ فقط, لكن محدودية تدفّق التغذية الراجعة Feedback من المستقبل إلى المرسل قد تصلُ أحياناً إلى الصفر في بعض الوسائل, وتزيدُ أحياناً أخرى تبعا لنوع الوسيلة, فوسائل الإتصال الإلكتروني الحديثة مثل المواقع الإخبارية الإلكترونية والصفحات الإخباريةُ في شبكات التواصل الإجتماعي, تتسمُ بتفاعليةٍ عالية بين القائم بالاتصال والجمهور.

والإعلام لغةً هو "التَّبْلِيغ" و"الإبلاغ (الإيصال)", يُقال: "بلَّغتَ القوم بلاغاً", أي أوصلتهم الشيءَ المطلوب. ويمكننا بشكلٍ تعريفُ الإعلام بشكلٍ عام على أنه: نقل المعلومات والمعارف والثقافات الفكرية والسلوكيةِ بأسلوبٍ معين, عن طريقِ أدوات ووسائل الإعلام والنشر الظاهرة والمعنوية والاعتبارية, بقصد التأثير, بغض النظر عن موضوعيته أو ارتباطه بثقافة وعقلية الجماهير. (اسماعيل عبد الكافي, 2010, ص12-13)

ومن التعريفات الأكاديميةِ المتخصصةِ للإعلام أيضا, فإنه: علمُ معالجةِ الأخبار في إطارٍ من المنطق وتلقائية المعلومات والاتصالات البشريةِ لمعرفة الإعلام, وهذا يعني أن الإعلام يشملُ بصورةٍ لا تحتمل التفكيك, وسائل المعالجةِ ووظائفها وطرق المعالجة ووظائفها وحقول تطبيقها. (فاضل البدراني, 2011, ص25)

ومهما اختلفت الأقوال, وتباينت الآراء حول مفهوم الإعلام, ومهما جائت تقسيماته واتجاهاته فإنها في مجموعها تلتقي في أن الإعلام هو: اتصالٌ بين طرفين بقصد إيصال معنىً, أو قضيةٍ أو فكرةٍ للعلم بها, واتخاذ موقفٍ تجاهها. والمفهوم العلمي للإعلام اليوم قد اتّسعَ حتى شمل كلّ أسلوبٍ

من أساليب جمع ونقل المعلومات والأفكار, طالما أحدث ذلك تفاعلاً ومشاركةً من طرفٍ آخر مستقبل, والإعلام علمٌ وفن في آنٍ واحد, فهو علمٌ له أسسه ومنطلقاته الفكرية, لأنه يستند إلى مناهج البحث العلمي في إطاره النظري والتطبيقي, وهو فنٌّ لأنه يهدفُ إلى التعبيرِ عن الأفكارِ وتجسيدها في صورٍ بلاغيةٍ وفنيّةٍ متنوعة, بحسب المواهب والقدرات الإبداعيةِ لرجل الإعلام. (لؤي خليل, 2010, ص5)

وذيوع استخدام لفظ الإعلام في لغةِ الحضارة المعاصرة ليس مستحدثاً, ولكنه يضرب بجذوره في مراحل تطور البشرية, ليتطور بتطورها ويجدّد في وسائله بتطور الحياة وعلومها, ليحقق أهدافه النابعة من احتياجات الجماعات البشرية, حتى أصبح من المألوفِ حالياً استخدام وسائل التواصل المختلفة في العديد من الإستخدامات الحياتية (اسماعيل عبد الكافي, 2012, ص14), وبشكلٍ جعل منها شيئاً لا بدّ منه لتستمر الحياةُ بنفس هذا النمط المتطور كما يرى الباحث, وفي زوالها تعود البشريةُ إلى عصورها الأولى, فبدون الإتصال لا يوجد علمٌ أو تطوّر.

وتشتمل وسائل الإعلام على تلك الوسائل التي لها مقدرةٌ على نقل الرسائل الجماهيريةِ من مرسلٍ إلى عددٍ كبيرٍ من الجمهور, وتتمثّل مقدرتها الإتصاليةُ باستخدام معداتٍ ميكانيكيةٍ أو الكترونية مثل الصحف والمجلات والكتب والسينما والراديو والتلفزيون والإنترنت والهاتف والتسجيلات المرئية والمسموعة. (صالح أبو اصبع, 2010, ص51)

وظائف وسائل الإعلام واستخداماتها

لو أُريدَ حصر وظائفِ الإعلام ووسائل الإتصال الجماهيري, فإن ذلك شبهُ مستحيل, فوظائف الإعلام واستخدامات أدواته لا حصر لها, وهي أكثرُ تعقيداً مما يظهر للجمهور. ومن أهداف الإتصال بشكلٍ عام وتجريديّ: تغيير سلوك المستقبل, أو تعديله, أو تثبيته. ولكن هذه الغايات الثلاث تصبَحُ أكثر توسّعاً وتعقيداً كلما اقتربنا من الواقع.

وإذا تحدثنا عن استخدامات وسائل الإعلام, فإننا يجب ان نتذكر أولاً أن الإعلام سلاحٌ ذو حدّين, هما: (صالح أبو أصبع, 2010, ص189)

– هو قوةً إيجابيةٌ داخل المجتمع تعمل على تماسكه وتدعيم بنائه, كما تعبّر عن قضاياه وتكشف عن ألوان الفساد والمحاباة والانحراف, وتساهم في دفع عجلةِ التنميةِ فيه.

– هو قوةٌ سلبيةٌ إذا لم يَحسُن استخدامُها, وذلك أنها قد تعمل على تخريب المجتمع وتفتيته, وتحطيم معنوياته, وتشويه شخصيته الوطنية بغرس قيمٍ غريبةٍ فاسدة, وبتقديم صورٍ من النماذج الغريبة للاحتذاء. ويرى الباحث أن الأثر السلبي للإعلام يتعدى ذلك, ليهدد سوء استخدامه كافة أشكالِ الحياةِ على سطح الأرض دون أدنى مبالغة, فبإمكان الإعلام إشعال الحروب, وقتلُ الأنفُس, فلو قالت شخصيةٌ كارزميةٌ في احدى وسائل الإعلام لجمهورٍ ذو ثقافةٍ علميةٍ سطحية, أن "البنزين" مفيدٌ للجهاز الهضميّ ويقي من الأمراض السرطانية لوجدت كثيراً من الأمّهاتِ في اليوم التالي يسقين أبنائهنّ البنزين قبل أن يتوجهوا للمدرسة, وابدأ بعدّ الضحايا.

"هارولد لازويل Harols Lasswel", يرى أن وظائف وسائل الإعلام تتمثل في: (صالح أبو أصبح, 2010, ص191, نقلاً عن هارولد لازويل)

– الإشراف على البيئة المحيطة.
– العمل على ترابط أجزاء المجتمع في الإستجابة للبيئة المحيطة.
– نقل التراث الإجتماعي والثقافي من جيلٍ لآخر.

الوظيفةُ الأولى التي رآها "لازويل" وهي الإشراف على البيئة المحيطة التي يعيش فيها الناس بكشف ما يهددّ قيم الجماعة ويؤثر عليها وعلى العناصر المكونةِ لها, فإن الوظيفة الثانية تجعل للإتصالِ دوراً أساسياً في ترابط بنية المجتمع وتماسكه, حيث يقوم الاتصال بمسؤولية الربط بين الحاكم والمحكوم, وبين الجماعات المختلفة في المجتمع بما يتلائم مع مصالحها المشتركة. الوظيفة الثانية تجعل للاتصالِ دوراً أساسياً في ترابط بنية المجتمع وتماسكه, حيث يقوم الاتصال بمسؤوليةِ الربط بين الحاكم والمحكوم, وبين الجماعات المختلفة في المجتمع بما يتلائم مع مصالحها المشتركة.

أما الوظيفة الثالثة فهي التي يتم بها نقل القيم والعادات والتقاليد ونقل اللغةِ إلى أفراد المجتمع.

وفيما يخص موضوع هذه الدراسة, فإن من أهمَ وظائف الإعلام التي يهتم بها الباحث في دراسته هي وظيفة نقل الأخبار, وتختلف الأخبار جغرافياً حيث أن هناك أخباراً محليةً, إقليميةً, ودولية. ومن حيث نوع الخبر هناك أخبارٌ سياسيةٌ واقتصاديةٌ واجتماعيةٌ وفنيةٌ وغيرها. وتهدف الأخبار إلى وصل الفرد بالعالم الخارجيّ, وتزويده بكل المستجدات. (صالح أبو أصبع, 2010, ص191-193)

ومن الوظائف التي تهمُّ الباحث في هذه الدراسةِ أيضا هي وظيفةُ تكوين الآراء والإتجاهات, حيث أنها من الوظائف العامة والرئيسية التي لها أهميةٌ كبرى في تكوين الرأي العام. وأما وظيفةُ تحديد الأولويات فهي ليست وظيفةً بقدر ما هي نظريةٌ تقنيةٌ خاصّة تستخدم لتكوين الآراء وترتيب الموضوعات لدى الجمهور حسب أولوياتها, وتبعاً للتركيز الذي تلقاه من وسائل الإعلام (صالح أبو أصبع, 2010, ص195). ونظرية تحديد الأولويات من النظريات التي استخدمها الباحث في هذا البحث, حيث سيقيس الباحث مدى جدولة كلٍ من الصحافتين الإسرائيليةِ والقطرية للنزاع في سوريا ضمن أولوياتهم, ويقارن بينهما من هذا المنطلق.

وهناك مصطلح "الوظيفة الحضارية" للوسائل الإتصالية والجماهيرية, أيّ الدور الذي تمارسه أدوات الإتصال في التطوّر الحضاري, أيّ البُعد الحضاري وأدواتُ الإنتاج من جانب, والعلاقاتُ والإنتاجُ من جانبٍ آخر. حيث للأرضية المادية لنمط الإنتاج في النظام الإتصالي أثرٌ واضحٌ في العلاقة بين طرفي الإتصال (المنتج/المرسل والمستهلك/المستقبل), لأن الإنسان يظل دايماً وبالضرورة متفاعلاً مع وسائل إنتاجه. (حميدة سميسم, 2006, ص273)

وهذا ما يفسّر تصنيف عصور التطور الإنساني تبعاً للوسيلةِ الاتصاليةِ واستخدامها في عصرٍ ما, ومن ثم تسميةُ عصرنا الراهن "عصر الإتصال الجماهيري" (حميدة سميسم, 2006, ص273). وفي نهاية المطاف يجِدُ الباحث أن لوسائل الإعلام والاتصالِ العديد من الاستخدامات المختلفة والمهمة, ومن الاستخدامات التي تهم هذه الدراسة وتعنيها بشكلٍ مباشر فيوجد نقلُ الأخبار والأنباء, وكذلك تشكيلُ الآراء والاتجاهات وتحديد الأولويات للجماهير.

خصائص وسائل الإعلام المقروءة (المطبوعة)

لكل وسيلةٍ اتصاليةٍ خصائصها التي تميزها عن غيرها من الوسائل, فكلٌّ منها قد يحقّق اشباعاتٍ للمستقبلين تختلف عن الأدواتِ الأخرى (صالح أبو أصبع, 2010, ص68) فلا يستطيع الجمهور المتابعين لوسائل الإعلام المسموعة (مثل الراديو) أن يوصلوا تغذيتهم الراجعة إلى القائم بالاتصال وعن طريق نفس القناة (الأداة), بينما يستطيعون أن يتفاعلوا بشكلٍ مباشرٍ مع القائم بالاتصال في وسائل الإتصال التفاعليةِ الحديثة (مثل المواقع الإلكترونية الإخبارية). كما أن مشاهدة التلفاز تحتاجُ إلى كهرباء وإلى وجودِ بثّ, بينما المجلّةُ المطبوعةُ يستطيع الشخص قرائتها دون الحاجة للبثِّ والطاقةِ الكهربائية. ورغم أهميةِ خصائص وسائل الإتصالِ جميعاً, إلا أن الباحث سيقوم فقط بعرض خصائص وسائل الإتصال المقروءة (المطبوعة), نظراً لأن الدراسةَ تختصُّ بالصحف المطبوعة المندرجةِ ضمن وسائل الإعلام المقروءة.

وتمتاز وسائل الإعلام المقروءةِ (والتي يفضّل الباحث أن يطلق عليها المطبوعة) بإمكانيةِ حفظها ونقلها بسهولة, وقراءتها في أيّ وقت. وهي توفرُ للقارئ فرصةً للسيطرةِ على العملياتِ الانتقائية, والسيطرةِ على عمليّاتِ التعرّضِ للرسالة, إذ بإمكان القارئ انتقاء وقراءة ما يعجبه أو يثير اهتمامه من صحيفةٍ ما أو مجلةٍ ما (صالح أبو أصبع, 2010, ص68). وإن تسائل البعض إذ كانت الخاصيّةُ السابق ذكرها حول الانتقائيةِ تُسقط نظريةَ تحديد الأولويات, فسيجيب الباحث بالنفي, فليست المواضيعُ متماثلةً من حيث الكتابةُ والتصميم, وعليه فإن الإخراج الصحفي يلعبُ دوراً في إبرازِ مواضيعٍ أكثر من غيرها, سيكون هذا المبدأُ مهماً جداً في عملية التحليل للباحث, وسيتم الاعتمادُ عليه بشكلٍ كبير, وفي الملحق التالي شرحٌ أكثرُ توسّعاً.

ويستخدم المتلقي في وسائل الإعلام المقروءة حاسّةً واحدةً هي البَصر. وجمهور وسائل الإعلام المقروءةِ غير معروفٍ للمتّصِلْ, وهو جمهورٌ متنافر, وقد تكون الرسالةُ غير متخصصة كما هي الحالةُ في الجرائد والمجلات العامة, وقد تكون متخصصةً كما في المجلات المتخصصة والكتب. وأما التمويل فقد يكون حكومياً, أو من منظماتٍ أو مؤسسات, أو عن طريقِ أفراد كما يحدث عندما يقوم شخصٌ بطباعةِ كتابه على نفقته الخاصّة.

وتخضعُ عمليةُ نشر الرسائل المقروءة لقوانين تنظمها, إذ تقوم قوانين والمطبوعات والنشر ومواثيق الشرف بهذه المهمّة, ويلعب الرقيب على المطبوعات سواء كانت رئيس التحرير أو مدير التحرير أو المحرّر نفسه, أو الدولةُ وقانونها دوراً هاماً في غربلةِ Filtering ما يسمح ويمنع من النشر. أما التغذية الراجعة Feedback فهي بطيئة, إذ يتلقى القائمون بالاتصال من القراء ردوداً عن طريق وسائل الإتصال الأخرى مثل البريد أو الهاتف أو غيرها بعد فترة (صالح أبو أصبع, 2010, ص68). من الجدير بالذكر أيضاً أن تكلفة انتاج وسائل الإعلام المطبوعة عالية نسبياً –غالبا– فهي تستهلكُ كميّاتٍ هائلةٍ من الورق, والأحبار المختلفة, وتحتاجُ آلاتٍ ومعداتٍ وكوادرٍ تديرها. ولطبيعتها الفيزيائية فإنها تحتاجُ لمن يقوم بنشرها وتوزيعها للناس.

السياسات الإعلامية

وهي مجموعةٌ من القواعد والأسس والضوابط التي تشكّلُ أساساً لبث وارسال الرسائل الإعلامية, بما تتضمنه من مبادئ أو أفكار أو أحكام أو آراء أو معلومات وأخبار. حيث تقوم الجهات الرقابيةَ (حُرّاس البوابة) بتحديد هذه السياسات, واستخدام تقنية التنقيح والغربلة لتسيير تلك السياسات تبعاً لصلاحياتها, بدءاً من المحرّر نفسه, وانتهاءاً بالجهات الرقابية في الدولة.

وهي السياسات النابعة من الإستراتيجية الإعلاميةَ وتفسيرٌ لها, وينبثق عن هذه السياسة العليا مجموعةٌ من السياسات الأكثر تفصيلاً, فقد تكون سياسةً سعريةً أو تأمينيةً أو صحفيةً أو غيرها. وهي توّجهاتٌ معياريةٌ تحكم العمل الإعلامي, وهذه التوجّهات هي: (اسماعيل عبد الكافي, 2010, ص21)

– الأنظمة والتشريعات وقد تكون مكتوبةً أو غير مكتوبة.
– التعليمات والتوجيهات وقد تكون معلنةً أو غير معلنة.

ومما ينبغي أن تتّصِفَ به المؤسساتُ الإعلامية لتكون في درجيةٍ معياريةٍ من المهنية هي:

– الاستقلالية السياسية والإدارية عن الحكومة.
– الاستقلالية المالية من ضغوط المعلنين.

- أن تكون بديلاً لوسائل الإعلام التجارية, لا منافساً لها.
- إن الرسالةَ الإعلامية التنمويةَ أسمى من أن تُتركَ للمصالح التجارية.

ويرى الباحث أن على السياسةِ الإعلامية في مُعظم وسائل الإعلام تخالف ما سبق ذكره من مبادئ, وتكون إما تجاريةً بحته ترسم خطوطها العريضةَ بضغوطِ الممولين المعلنين أو الداعمين, أو تكونُ مسيّسةً من السُلطة لتنفذ سياساتها.

والسُلطة هي القوةُ التي تهيمن على أيّة جماعةٍ بشريةٍ وتدير شؤونها, بغض النظر عن أشكال هذه السُلطة, أو تنوع تصنيفاتها واختلاف ايدولوجياتها. والإعلام عبارةٌ عن عمليةِ تبادل الأنباء والمعلومات والآراء والأفكار داخل أيّ مجتمعٍ إنساني, ولكي نعرف طبيعة العلاقةِ بين الإعلام والسلطة علينا أن نعرف أيهما كان بدأ التأثيرُ في الآخر.

وبمجردِ تكوّنِ الجماعاتِ البشريةِ ظهرت الحاجةُ إلى السلطة, كما ظهرت الحاجةُ إلى الإتصال بين أفراد هذه الجماعات, وهذا ما يعني أن التأثير كان متبادلاً (فاروق أبو زيد, 2007, ص26) وبالأساس فإن السُلطةَ تحتاج الإعلام ليعطيها الشرعيةَ أمام الرأي العام, بينما يحتاج الإعلامُ للسلطة لتكون حاميةً له, وهنا يجدُ الباحث بأنها علاقةٌ متبادلةٌ بين كليهما.

الصحافة والأخبار

هي المهنةُ التي تقوم على جمع وتحليل الأخبار والتحقق من مصداقيتها وتقديمها للجمهور, وغالباً ما تكون هذه الأخبار متعلقةً بمستجدات الأحداث على الساحة السياسيةِ أو المحلية أو الثقافيةِ أو الرياضيةِ أو غيرها من ميادين الصحافة المختلفة. ويرجع تاريخ الصحافةِ إلى زمن البابليين حيث استخدموا كاتباً لتسجيل أهمّ الأحداث اليوميةِ لتعرف الناس بها. (لؤي خليل, 2010, ص6)

وتنقلُ الصحافةُ للمواطنين الأحداث التي تجري في محيط مجتمعهم وأمّتهم, والعالم أجمع, كما تساعد الأفرادَ في تكوين الآراء حول الشؤون الجارية, من خلال الصحف والمجلات والإذاعة والتلفزيون والشبكات الإخبارية الإلكترونية. ولهذا سميّت وسائل الإتصال المذكورة بالصحافة

أو الوسائل الإخبارية. ويُسمى ممارس هذه المهنة صحفياً, والصحفيون هم إما من يقومون بتغطية الأخبار (المراسلون والمندوبون الصحفيون والمصورون), أو من يقومون بتحريرها (سواء كانوا محررين عاديين أو مدراء أو رؤساء تحرير أو رسامي كاريكاتير), وغيرهم.

وفيما يخصُّ الصحف (الجرائد) وهي أكثرُ الوسائل التي تهمُّ الباحث في هذه الدراسة, فقد بدأ توزيعُ أولِ جريدةٍ مطبوعةٍ في العام 1465م, وعندما بدأت تأخذُ صفة الدورية أصبح بالإمكان حينها التحدثُ عنها بالمعنى الحقيقي, وذلك في بدايات القرن السادس عشر, وفي القرنين السابع والثامن عشر حين بدأت الصحافة الدورية بالإنتشار في أوروبا وأمريكا, وأصبح هناك من يمتهنُ الصحافةَ كمهنةٍ يرتزق منها, وكانت الثورةُ الفرنسيةُ حافزاً لظهور الصحافةِ الحديثة, كما كانت لندن مهداً لذلك.

والصحافةُ المطبوعةُ تعرّفُ على أنها مطبوعٌ دوريٌ يصدر بصفةٍ منتظمة, وتحت عنوانٍ ثابت, وينشر الأخبار والموضوعات السياسية والاجتماعية والثقافية والفنية والرياضية والاقتصادية ويشرحها ويعلّق عليها. أما الدوريةُ الصحفيةُ كما عرفتها منظمة اليونسكو UNESCO هي كل المطبوعات التي تصدر على فتراتٍ محددةٍ أو غير محدّدة, ولها عنوانٌ واحدٌ ينظّمُ جميعَ حلقاتها. ويشترك في تحريرها العديد من الكتاب والمحررين الصحفيين, ويقصد بها أن تصدر إلى ما لا نهاية, وقسمها اليونسكو إلى فئتين هما الصحف Newspapers والمجلات Magazines.

والصحف هي ما يريد أن يركز عليه الباحث في هذه الدراسة دون غيرها, وتصدرُ بشكلٍ دوري سواء كان يومياً أو غير يومي (كل يومين أو ثلاث) أو أسبوعي أو نصف شهري. وتغطي أحداثاً إخباريةً تفصليةً أكثر من غيرها من الوسائل الإخبارية, ولكن لا تستطيع منافسةَ الإذاعةِ والتلفزيون في سرعةِ نقل الأخبار أولاً بأول, ولعل الميزة الكبرى للصحف عن الإذاعة والتلفزيون تكمن في التعمّق في تقديم الأحداث الإخبارية, وتتيح للقراء استيعاب الأنباء بمطلق الحريّة والتأني, بعكس وسائل الإعلام المرئي والمسموع التي لا تسمح للمستمعين بالتحكّمِ بسرعةِ أو وقت إذاعة الأخبار. (لؤي خليل, 2010, ص7-12)

الصحافة الإسرائيلية المكتوبة وتطورها

تصدر في إسرائيل صحفٌ يوميةٌ باللغة العبرية, وبلغاتٍ أخرى كالروسيةِ والإنجليزيةِ والعربية. وإضافةً إلى الصحف اليومية, فإن هناك صحفاً أسبوعيةً وشهرية, كما توجدُ المجلات الدوريةُ المختلفة

شبة المحترفة التي تصدرُ عدة مراتٍ سنوياً. ويشير المستوى العالي نسبياً من الرواج للصحافة الإسرائيلية إلى مستوى الاستهلاك العالي الذي يميز المجتمع الإسرائيلي, وفي آذاء عام 2003 أثبتت دراسةٌ لمركز "حاييم هرتسوغ للإعلام والمجتمع والسياسة" في جامعة تل أبيب أن 40% من الإسرائيليين يقرأون الصحيفة بشكلٍ يومي, و15% فقط لا يقرأون الصحف بتاتاً (مركز حاييم هرتسوغ, 2003) وهذا ما لاحظه الباحث أيضاً, حيث قام بتحليل مضمون صحيفة هآريتس الصادرة باللغة العبريةِ في قاعةٍ مخصصةٍ للدوريات وأرشيفها, ولاحظَ إقبالاً كبيراً من الإسرائيليين على قراءة الصحف مقارنةً مع ما لاحظه في الشارع العربي (رغم أنها ملاحظةٌ ليس لها قيمةٌ علميةٌ لعدم ارتكازها على احصائيةٍ دقيقة إلا أن الباحث فضّل ذكرها), ويرجّحُ الباحث أن من أسبابِ إقبال المجتمع الإسرائيلي على قراءة الصحف هو أن فلسطين المحتلة هي بؤرةُ صراعٍ دائم, وهي جوهر الصراع في الشرق الأوسط, وبما أن إسرائيل هي دخيلةٌ على الوطن العربي, فإن شعور المجتمع الإسرائيلي بالتهديد الدائم (رغم أن التهديد الحقيقي هي إسرائيل نفسها) جعلهم يتابعون الصحافةَ بشكلٍ دائمٍ ويومي. وكذلك فإن مستوى المعيشة العالي إضافةً إلى المستوى المرتفع من الثقافة للجمهور الإسرائيلي هم من أسباب الاستهلاك الإعلامي المرتفع أيضاً.

وبدأ تاريخ الصحافة الإسرائيليةِ منذ فترةِ الانتداب البريطاني على فلسطين (1917–1948) أو ما أسماها الإسرائيليون بفترة "اليشوف" (فترة الإستيطان اليهودي في فلسطين والتي سبقت الإعلان عن إقامة إسرائيل), حيث تأسست عدّةُ صحفٍ عبريةٍ, وفي العام 1948 عند قيام إسرائيل كانت تصدر في إسرائيل 13 صحيفةً يومية (مردخاي ناؤور, 1998, ص80–87). ومن الصحف البارزة التي صدرت في عهد الإنتداب صحيفة "هآريتس הארץ" وهي احدى الصحيفتين التي تختص بهما هذه الدراسة والتي بدأت بالصدور عام 1919, صحيفة "يديعوت أحرونوت" التي بدأت بالصدور عام 1939.

ومن الصحف الحزبيةِ التي برزت في فترة "اليشوف" صحيفة "دفار" التي كانت بملكية نقابة العمال العامة (الهستدروت), والتي عبرت عن موقف الحزب المهيمن عليها آنذاك "مباي". وعملت "دفار" منذ 1925 حتى عام 1996, وأقفلت بسبب صعوباتٍ مالية. ومن الصحف الحزبية الأخرى صحيفة "حازيت هعام" (جبهة الشعب) التابعة لحركة "حيروت" السياسية, وصحيفة "هيردين" و"همشكيف" و "هتسوفيه" و "عال همشمار" الصادرة عن حزب "المفدال" (حزب العمال

الموحّد), فيما أصدرت الحركة الشيوعية صحيفة "كول هعام" التي أقفلت عام 1975. وفي فترة "البيشوف" كانت للصحف الحزبيةِ مكانةٌ خاصةٌ و أساسية بعكس في النشاط الإعلامي بعكس الصحف الخاصة التي كانت تواجه صعوباتٍ ماليةٍ في ذلك الوقت, واستمر ذلك حتى بعد قيام إسرائيل حيث كانت في فترة الخمسينات ثماني صحفٍ حزبيةٍ من أصل احدى عشر صحيفةٍ عبرية يومية؛ حيث كانت الأحزاب تستغل هذه الصحف لتكون منابراً لها لحشد الأصوات في فترات انتخابات "الكنيست". (أمل جمال, 2005, ص48-49)

استمر نمط العلاقات الإيجابيةِ بين الصحافة والأحزاب فترةً طويلةً حتى العام, وبدأ الاعتراض عليه بعد حرب أكتوبر عام 1973, فحتى ذلك الوقت عبّرت معظم الصحف إخلاصها الوطني, وعن التزامٍ قوميٍ على حساب الحريّة والتعبير ونشر المعلومات, وعلى حساب حقّ الشعب في المعرفة.

تبنت هذه الرؤيةَ جميع الصحف العبرية (ما عدا "كول هعام" الشيوعية) وجهة النظر الصهيونية المهيمنة في المجتمع اليهودي, وانضمت إليها الصحف المكتوبة باللغات الأجنبية (ما عد العربية), وشرحت سياسة المؤسسة السياسية في البلاد وخارجها (تسفي لفي, 1987, ص11-34). ومن الواضح أن الحكومة الإسرائيليةَ قامت بتجنيد الصحف بشكلٍ تام لمساندتها في تقديم المصالح القومية والوطنية على الحزبية.

تميزت فترة الثمانينات صحفياً بتثبيت الصحف الخاصّة كلاعبٍ أساسي في المؤسسة الصحفية الإسرائيلية, وأصبحت "يديعوت أحرونوت" و "معاريف" و "هآريتس" الصحف اليومية المركزية في الدولة, ورغم الاختلاف بين هذه الصحف فقد استطاعت أن تحافظ على التوازن بين مصالحها الاقتصادية, والاحتياجات السياسيةِ والدبلوماسية للمجتمع الإسرائيلي, وأبدت كذلك درجةً كبيرةً من المسؤولية الاجتماعية, فقد زودت الجمهور الإسرائيلي بمعلوماتٍ تتلائم مع الثقافة السياسية المهيمنة, ولم تقم بانتقادٍ جذريٍ للسلطة. (أمل جمال, 2005, ص51 و54)

ويمتاز الإعلام الإسرائيلي بشكلٍ عام بعدةِ خصائصٍ تعكس طبيعة الكيان الإسرائيلي من حيث ظاهرة التعددية الإثنية, واهم هذه الخصائص: (عاطف الرفوع, 2004, ص68)

- التعددية الإعلامية: حيث كثرة الصحف وتنوعها.
- سيطرة الأحزاب السياسية على الصحافة في إسرائيل: حيث استمرت حتى منتصف السبعينات.
- سيطرة اليهود الغربيين (الأشكيناز) على وسائل الإعلام ومؤسساته.
- الاهتمام الكبير بالأخبار الإقليمية والعالمية.
- الرقابة العسكرية.

هآريتس הארץ

هي الصحيفة الخاصّةُ الأقدم, وتملكها عائلة "شوكن". ومنذ انطلاقتها عام 1919 ادّعت تبنيها مواقفاً ديموقراطيةً معتدلةً في مجالاتٍ اجتماعيةٍ واقتصادية, وخطاً صارماً في القضايا السياسيةِ والأمنية, كما أظهرت مواقفاً مستقلةً وناقدةً في مواضيعٍ شتّى. حيث تطلّعت للتشبّهِ بصحفٍ غربيةٍ مثل صحيفة New York Times و Le Monde و Times وغيرها من الصحف رفيعة المستوى.

وعبّرت "هآريتس" في ترويجها لنفسها, وعلى امتداد سنين طويلة, أنها: "صحيفةٌ لأشخاصٍ يفكرون", وهي منتشرةٌ وسط النخبةِ الاجتماعيةِ والسياسيةِ والاقتصادية والثقافية. ويمكن القول إن قرائها هم من الطبقة الوسطى, والمتوسطةِ العليا. لهذا فإن هآريتس هي الصحيفة الخاصّة الأقل انتشاراً في إسرائيل, ورواجها يصل مؤخراً إلى 7% من قراء الصحف في الأيام العاديّة و9% في نهاية الأسبوع (الجمعة), ومعظم مبيعتها تكون بناءاً على الاشتراك, حيث يصل عدد الاشتراكات إلى 70 ألف من أصل 75 نسخةً تباع في أيام الأسبوع العادية. (أمل جمال, 2005, ص57)

وعلى الرغم من قلةِ مبيعاتها إذا ما قورنت مع صحيفتي "معاريف" و "يديعوت أحرونوت", فإن سعر الإعلانات فيها مرتفعٌ نسبياً, لأنها تباع لأصحاب الطبقةِ الاجتماعيةِ القويّةِ ذات القدرةِ الشرائيةِ العالية, ويقرأها قياديو المؤسسات الاقتصادية الكبرى في إسرائيل, ذوي النفوذ والسيطرة على سوق الإعلانات والصفقات الماليةِ المركزية. وقامت في العقد الحالي بإصدار نسخةٍ باللغة الإنجليزيةِ بالتعاون مع صحيفة International Herald Tribune. ولدى هآريتس موقعاً إخبارياً ناجحاً على شبكة الانترنت (أمل جمال, 2005, ص57), ويعرض الموقعُ أخباراً بشكلٍ مجانيٍ لكن محدود, ويحتاج الشخص اشتراكاً بمبلغٍ رمزيٍ حتى يستطيع متابعة الأخبار بشكلٍ كامل عن طريق الموقع.

الصحافة القطرية وتطورها

نشاةُ الصحافة القطريةِ لم تأتِ من فراغ, حيث شهدت قطر (كباقي دول الخليج العربي) منذ عشرينات القرن الماضي حركةً ثقافيةً, تمثّلت في إنشاء بعض المدارس التعليميةِ التي تخرّج منها رعيلٌ كبير, كان له حظٌّ المشاركة في إذكاء الروح الثقافيةِ في المنطقة (الدسوقي ولاشين وعبد الرحمن وغنيم, 1984, ص11). وبما أن الصحافةَ كانت مرتبطةً ارتباطاً وثيقاً بالمجتمع, فقد كان من الطبيعي أن تنشأ الحاجةُ لوجودِ صحافةٍ قطريةٍ, تعبر عن تلك التطوراتِ السريعةِ التي شهدها المجتمع القطري في بداية السبعينات في مختلف النواحي الثقافيةِ والاقتصادية والاجتماعية. وهكذا بدأت ظاهرةُ اصدار الصحف والمجلات القطرية الحكومية منذ أواخر عام 1969, حيث أصدرت وزارة الإعلام القطرية مجلة "الدوحة" الثقافية الشهرية في ذلك العام, ثم أصدرت "دار العروبة للصحافة والنشر" أوّل مجلةٍ قطريةٍ أسبوعيةٍ سياسيةٍ جامعة وهي مجلة "العروبة" التي صدرت في 5 شباط 1970. وتلاها اصدارُ صحفٍ ومجلاتٍ أخرى. (محمد وسيف الدين والصاوي, د.ت, ص13)

ومع بداية الثمانينات كانت هناك ثماني صحف ومجلات تصدر عن مؤسساتٍ أهليةٍ خاصّة, منها ثلاث صحفٍ يومية وهي: "العرب (وهي ضمن موضوع البحث)" و "الراية" و "Gulf Times (باللغة الإنجليزية)", وجريدة أسبوعية رياضية هي "الدوري" ومجلتان أسبوعيتان سياسيتان هما "العروبة" و "العهد" ومجلتان شهريتان واحدة نسائية هي "الجوهرة" وأخرى اقتصادية هي "أسواق الخليج" ومضافاً إلها المجلات الحكومية. (محمد وسيف الدين والصاوي, د.ت, ص13)

لعبت الصحافةُ القطريةُ دوراً مهماً في التأثير على البيئة, وخاصةً من ناحية الأسرة والمدارس القطرية والأندية الرياضية والثقافية, وذلك بسبب انتشار التعليم المرافق للطفرة النفطية, ولم يكن يشمل ذلك قطر فحسب, بل كافّة دول الخليج. (الكواري ومبروك, 2004, ص20)

كما وسعت الصحافة القطريةُ للعب دورٍ ريادي بعد رفع الرقابة عنها عام 1995, وألغاء وزارة الإعلام عام 1998 (الكواري ومبروك, 2004, ص20). ويرى الباحث أنها تجاوزت حدود قطر وتبنّت العديد من القضايا العربية والإسلامية, وبقيت تمتاز بمهنيةٍ عاليةٍ حتى منتصف العقد الماضي, حيث بدأت قطر تتخذُ سياسةً خارجيةً تعتمدُ بشكلٍ كبيرٍ على الإعلام (وخصوصاً قناة الجزيرة الفضائية), وأصبح الإعلامُ القطري أداةً لتنفيذ السياسات الخارجية التي تطبقها قطر.

جريدة العرب

هي جريدةٌ يوميةٌ بدأت بالصدور أسبوعياً بصفةٍ مؤقتة ابتداءاً من يوم الاثنين 6 مارس 1972, تصدر عن دار العرب للنشر والتوزيع, حيث بدأت آنذاك برئاسة تحرير "عبد الله حسين نعمة" (وهو المؤسس والمالك), وكان الدافع وراء إصدارها تأخر وصول الصحف العربية والأجنبية اليومية إلى قطر, وظلت تصدر بشكلٍ أسبوعي (وأحياناً بشكلٍ يوميٍ في المناسبات المهمة) (عزة عزّت, 1983, ص372).

منذ انطلاقتها بدأت الجريدةُ في التوسّع في نشر الأخبار المحليةِ والعالمية, حيث اعتمدت في البداية على مندوبيها الصحفيين في الأخبار المحلية, وعلى وكالة الأنباء الفرنسية AFP في الأخبار الدولية. وأبدت اهتماماً كبيراً بالتحقيقات الصحفية (محمد وسيف الدين والصاوي, د.ت, ص51).

استمرت "العرب" بالتطور والتوسّع حتى أصبح لديها مراسلون في القاهرة وعمّان والجزائر, وقد استمرت بالصدور حتى عام 1996, وقد استأنف اصدارها في 18 نوفمبر 2007, واستلم رئاسة تحريرها منذ ذلك الوقت حتى الآن "أحمد بن سعيد الرميحي". (صحيفة العرب, 2013)

ومن السياسات الإعلامية لجريدة العرب أنها تعبر عن الهوية القطرية, وتتبنى قضاياً عربيةً مختلفة, ورغم تركيزها على الأخبار المحلية والتحقيقات, إلا أنها تعطي كماً جيداً للقضايا الدولية والتحليلات السياسيةِ أيضاً. (صحيفة العرب, 2013)

لم يكن الباحث لينهي هذه الدراسة دون المرور عن الصحافة والإعلام بشكلٍ عام, وعن الإعلام الإسرائيلي والقطري, وجريدتي هآريتس والعرب بشكلٍ خاصّ, ويعترف الباحث بقلة ما كتب عن الصحافة القطريةِ وصحيفة العرب مقارنةً بالإسرائيلية (ليس فرقاً كبيراً لكن وجدتُ من المناسب ذكر ذلك), وذلك أن العديد من المصادر التي تتعلق بالصحافة والإعلام القطري ليست حياديةً على الإطلاق, فالسياسات الإعلامية التي تتخذها قطر في رسم سياساتها الخارجية جعلت لها أعداءَ كثر, فلم يستطع الباحث أن يجد مصادراً حياديةً عن الموضوع, وحاول الباحث تحييد ما وجده من مصادر قدر الإمكان دون السعي للتقليل من شأنها.

5- المبحث الثاني: التصوير الصحفي Photojournalism

الصورة الصحفية

عندما نتكلم عن التصوير الصحفي, فإننا نتحدث عن أن يربط الصحفيُ القارئَ بالحدث, ليكون جزءاً منه, ويتصل بصرياً معه ليكتمل ادراكه للحدث ولا يبقى إلا أن يكون جسدياً في الحدث. والصورةُ تعني المصداقية, فلا نصدّق دائماً أن شيئاً قد حدث دون أن نراه, خصوصاً إذا كان حدثاً غير اعتياديّ. والصورةُ هي الموضوعية, فهي كثيراً ما تضعُ حداً لتحيّزِ المحررين لطرفٍ ما, أو تُخفى إذا كان صدقُها سيفضح تحيزهم.

يمكن تعريف التصوير الفوتوغرافي (التصوير الضوئي) بأنه: عمليةُ إنتاجِ صورٍ بواسطةِ تأثيراتٍ ضوئية, فالأشعّةُ المنعكسةُ من النظر تكون خيالاً داخل مادّةٍ حسّاسةٍ للضوء, ثم يتم معالجةُ المادّةِ فيما بعد فتنتجُ صورٌ تمثّلُ المنظر الطبيعي (خليل راتب, 2012, ص16). ويمكن توضيحُ ذلك بشكلٍ أبسط عن طريقِ معرفةِ كيف ترى العين البشرية, فالضوء المنعكس عن الأجسام يدخل عن طريق عدسة العين إلى القرنية, ليقوم العصب البصري Optical Nerve بنقلها إلى الدماغ بعد ذلك, ومن دون الضوء لا نرى, وكلما زادت قوةُ الإضاءة كلما رأينا بشكلٍ أفضل (شرط أن لا تزيد الإضاءةُ عن حدٍّ معيّن), وتتفاعل العين مع مستوى الإضاءة فحدقة العين تتوسع عندما يقل مستوى الإضاءة ليدخل ضوءٌ أكثر إلى العين.

والأمرُ نفسه مع الكاميرا, فالكاميرا تستقبل عبر عدستها الضوء المنعكس عن الأجسام التي أمامها, ليدخل هذا الضوءُ عبر العدسةِ Lens إلى جسمٍ حسّاسٍ للضوء (سواء كان فيلم Film أو حسّاساً رقمياً Digital Sensor), حيث تتم بعدها العملياتُ المختلفةُ لإخراج الصورةِ الفوتوغرافيةِ بشكلها النهائي باختلاف نوع الكامير. وكما هو الحال مع العين البشرية, فكذلك الكاميرا لا تستطيع إلتقاطَ الصورةِ دون وجودِ إضاءة, وستكون الصورةُ عبارةً عن مربعٍ أسود, أما إذا كانت الإضاءةُ عاليةً جداً فكلما كانت عاليةً كلما تحولت إلى اللون الأبيضِ حتى يصبح لونها أبيضاً ناصع, وتتفاعل الكاميرا مع مستوى الإضاءة المتوفر, فيقوم المصور بتغيير الإعداد (أو تتغير أوتوماتيكياً) لإدخال الكمّ المطلوب من الإضاءة للكاميرا, فمثلاً عند الإضاءة المنخفضة يقوم المصور بتوسيع فتحة العدسة Aperture تماماً كما تتوسع حدقة العين البشرية. وهكذا نجد أن الكاميرا ليست إلا محاكاة للعين.

وأما التصوير الصحفي Photojournalism فيعرّفه الكاتب والأكاديمي والمصوّر الفوتوغرافي "ديفيد براكل David Prakel" التصوير الصحفي بأنه: "جمعُ الأخبار عن طريقِ الصورةِ بدلاً من الكلمات المكتوبة. وعمليةُ التصوير الصحفي تكون عمليةً مقصودة, مع عنصري التوقيت والموضوعية المُفترضة. ويجبُ على الصورةِ الصحفيةِ أن تهدفَ لسردِ قصّة, أو تكون جزءاً من مقالةٍ مصوّرة". (David Prakel, 2010, P187)

وتعدُّ الصورةُ من أهمّ الفنونِ البصريةِ التي خلقت لغةً جديدةً استحوذت بها على طاقة البصر, حيث يشارُ لها بأنها ليست إلا تعبيراً بصرياً وابداعياً, يسلك سبل التخيل وترجمة الأفكار بمعانٍ مستمدّةٍ من البيئة الثقافيةِ التي يتحرك فيها خطاب الصورة, وذلك من خلال مستويين (علي فاضل, 2012, ص17):

- المستوى الإخباري: وهو مستوى الإتصال بين المرسل والمستقبل, وهو النطاق البصري من مضمونٍ للصورة.

- المستوى الرمزي: وهو مستوى الدلالة والمعنى والإيحاء للصورة, وهو ما يستنبطه العقل بعد قراءة مضمون الصورة, ليقوم بتحليل ما وراء المضمون.

ويرى الباحث أن على المصور الصحفي عليه عند التقاط كلّ صورةٍ أن يضع في عين الحسبان كلا المستويين, فلا يكتفي بالتقاط صورةٍ ضعيفة الدلالة, أو صورةٍ ذات دلالاتٍ عميقةٍ لكنها غير واضحة بصرياً للمشاهد. وعليه أن يجذب المشاهد في الصورة عن طريق إحدى العناصر البصرية الجذّابة والتي تضفي تميزاً وجماليةً على الصورة, مثل: المنظور المتميز, أو الحركة, أو الألوان الجذابة, أو غيرها من العناصر الجمالية التي تصطاد عين المشاهد وتثير إعجابه, ليأتي بعدها دور المضمون الذي يفترض ان يكون واضحاً وذا قدرةٍ على إيصال الفكرة, ليليها في النهاية الدلالة التي يستمدّها المشاهد من المضمون بعد تفسيرٍ وتحليل, وكلما كان التفسير والتحليل أسرع كلما كانت الصورةُ أنجح في نظر الباحث, لأنه تكون قد أوصلت الفكرة بكلّ سهولة.

تطور التصوير الصحفي

نظراً لكون التصوير الصحفي جزءاً من التصوير الفوتوغرافيّ, فإن تاريخهما واحدٌ تقريباً, والمفارقةُ الوحيدةُ هي أنّ هناك أشكالاً للتصوير الصحفيّ غير التصوير الفوتوغرافي سبقت الصور الفوتوغرافية, مثل: "الرسوم الكاريكاتورية, والرسوم التوضيحية, والرسوم الإرشادية (الجرافيك الصحفي Journalsitic Graphics)", لكن الباحث أراد الاختصاص في هذه الدراسةِ بالصورِ الصحفيةِ الفوتوغرافية, أو الرسوم الإرشادية التي تحتوي على صورٍ فوتوغرافيةٍ في عناصرها.

أوّلُ صورةٍ صحفيةٍ معروفةٍ لمصورٍ مجهول التقطت إبان الحرب الأمريكيةِ–المكسيكيةِ في العام 1847 (mexicanhistory,W.D), وأوّلُ مصورٍ صحفيٍ فوتوغرافيٍ معروفٍ في التاريخ هو الرسّام والمصوّر الفوتوغرافي الروماني "كارول سزاثماري Carol Szathmari", والذي قام بتصوير "حرب القرم" (التي وقعت بين روسيا والدولة العثمانية بين عامي 1853 و1856) (Archive,1998)

وقد مرّ التصوير الفوتوغرافي بعدّة مراحل إلى أن وصل إلى هذا المستوى المتقدّم الذي نشهده اليوم, ويعود الفضلُ في اختراع آلة التصوير البدائية لعالم البصريات العربي "الحسن ابن الهيثم" في العام 1039م, وبعدها بـ250 عاماً وصفها وكتب عنها روجر باكون Roger Bacon, وفي العام 1550م قام جاردانو Gardano بوضعِ عدسةٍ محدّبةٍ بوضع عدسةٍ محدبةِ الوجهين على ثقب آلةِ التصوير فزادت بذلك شدّة إضاءة الصورة وحدّتها (لم تكن آلة التصوير تنتجُ صوراً مطبوعة بعد آنذاك, بل كانت تقوم بعرض الصورة (Projection) على سطحٍ لامعٍ للجهةِ المقابلة لفتحة الكاميرا أو العدسة لاحقاً).

كانت هناك عدّةُ اكتشافاتٍ لموادٍ حساسةٍ للضوء, وفي بداية القرن التاسع عشر قام "توماس ودجوود Thomas Wedgewood" بوضعِ ألواحٍ سالبةٍ (Negatives) وذلك بتغطيسِ قطعةِ ورقٍ في محلول نترات الفضّة, ثم إلصاقها بقطعةٍ زجاجيةٍ عليها رسمٌ معيّن, وعند تعريضها للضوء فإن المناطق الغير مستورة خلف خطوط خذلك الرسم والتي تتعرض للضوء, تتفاعل معه, ليُطبع الرسم على اللوح. من هنا قام "ودجوود" بوضعِ قطعةٍ مماثلةٍ داخل آلة التصوير, ليسجّل بذلكَ صورةً عليها, لكن نظراً لعدم اختراع محلول التثبيت Stabilizer في ذلك الوقت لم تدم الصورة, لكن تلك التجربة كانت أوّل تسجيلٍ لصورةٍ فوتوغرافية على لوحٍ سالب Negative. (خليل راتب, 2012, ص38–39)

في العام 1826م قام "جوزيف نيبس Joseph Nicephore Niepce" بإنتاج لوحٍ حساسٍ للضوء بمقدوره تسجيلُ صورةٍ كامنةٍ يمكن اظهارها فيما بعد كيميائياً, واكتشف ايضاً محلولاً يمكنه الحفاظ على الصورةِ بعد أن تتأثر بالضوء وتظهر الصورةُ عليها وهو محلول التثبيت, وقد استطاع أيضاً طباعةَ صورةٍ موجبة. واستمرت الاختراعات بعد ذلك في هذا المجال, فتطورت أشكال وأنواع الألواح السالبة, وطرق التحميل, وأنواع الكاميرات والعدسات. ففي العام 1888 اخترع "جورج ايستمان كوداك George Eastman Kodak" أشهر آلةِ تصويرٍ آنذاك عُرفت بإسم "Kodak" كانت عبارةً عن صندوقٍ صغيرٍ محمولٍ باليد, ويتم تحميلها بفيلمٍ طويلٍ ملفوفٍ على بكرة, ويمكن إلتقاطُ 100 صورةٍ به, وعند الانتهاء منه يتم تسليمه للمصنع حيث يتم تحميلها بفيلمٍ آخر وتحميضُ الفيلم وإرجاع الكاميرا لصاحبها بعد الانتهاء من عمليات التحميض والتثبيت والطباعة (خليل راتب, 2012, ص44), حيث شكّلت ابتكارات كوداك نقلةً نوعيةً في تاريخ التصوير وتقنياته, ولا تزال إلى يومنا هذا.

في نهاية القرن التاسع عشر كانت تحسيناتٌ كثيرةٌ قد طالت التصوير الفوتوغرافي, فقد تطورت ألواح الطباعة السالبة Negatives إلى شكلٍ أكثر حساسيةً للضوء وأكثر وضوحاً ودقة, وكذلك الأمر بالنسبة للعدسات Lenses التي كانت فيما سبق تعاني مشاكلاً وعيوباً بصرية, كانحناء الخطوط المستقيمةِ عند حافّة الصور, لكن تم التغلب على هذه العيوبِ عن طريقِ استخدامِ عدساتٍ مكونةٍ من عدّةِ قطعِ زجاجيةٍ لتركيز الضوء, وهو ما عُرف "بالعدسات المُركّبة".

وفي بداية القرن العشرين ظهرت العديدُ من الأنواعِ الجديدةِ من الأفلامِ الحساسةِ للضوء والورق المخصّص للطباعة ومحاليل الإظهار والتثبيت والكاميرات والعدسات, وظهر جيلٌ جديدٌ من آلات التصوير صغيرةِ الحجم, وأصبح بالإمكان التقاطُ صورٍ في الأماكن خافتةِ الإضاءةِ بواسطة فتحت العدسةِ الواسعة والأفلام شديدةِ الحساسية للضوء. ومن أشهر الكاميرات في تلك الفترة كاميرات Leica ألمانيةِ الصُنع, والتي استوعبت فيلماً من مقاس 35ملم, يحتوي على 36 صورة, والتي ابتكرها "أوسكار برناك Oskar Baranak", وكانت عمليةً وسهلة الاستخدامِ مقارنةً بغيرها من الكاميرات (خليل راتب, 2012, ص46-43), وعادت لايكا Leica في النسواتِ الأخيرة لتقتحم سوق الكاميرات الرقميةِ بقوة, وتنتج كاميراتٍ من طراز Leica M ذات جودةٍ عاليةٍ تنافس أضخم الشركات.

واستمر تطور الكاميرات الفيلمية والمواد الحساسة والعدسات, وظهرت تقنياتٌ جديدةٌ مثل التركيز التلقائي Auto Focus وقياس الضوء Light Metering, وغيرها من التقنيات التي سهّلت عمل التصوير. وفي العام 1975 نجح المهندس الأمريكي "ستيفن ساسن Steven Sasson" في شركة كوداك في اختراع أوّلِ كاميرةٍ رقمية Digital Camera, حيث يتم حفظ الصور بشكلٍ رقميٍ إلكتروني (David Prakel, 2010, P91). وما يميز الكاميرا الرقمية أنها لا تحتوي فيلماً, بل لوحاً إلكترونياً حساساً للضوء (Sensor), يقوم بتحويل الضوء الواصل إليه إلى إشاراتٍ رقميةٍ يتم تخزينها واستعراضها وتحريرها بواسطة الحاسوب.

لكن الكاميرات الرقمية التي بدأ العلماء بتطويرها لم تنزل إلى الأسواق إلا عام 1990, عندما تم طرح كاميرا من طراز Dycam Model 1 في الولايات المتحدةِ الأمريكية, حيث كان من الممكن توصيلها بالحاسوب لتنزيل الصور مباشرةً واستخدامها. (Digibarn,W.D)

استمر التطور المستمر للتصوير الفوتوغرافي الرقمي وصاحبه في ذلك التصوير الصحفي, الذي استفاد من تقنيات التصوير والتخزين والطباعة المختلفة, إضافةً إلى سرعةِ وسهولةِ نقل البيانات عن طريق الإنترنت, والذي مكّن المصورين الصحفيين من نقل صورهم إلى مكاتب التحريرِ بشكلٍ فوريّ, ليحسّن ذلك من جودةِ التغطيةِ الإخباريةِ وسرعتها.

أنواع التصوير الصحفي ومجالاته

هناك ميادينٌ كثيرةٌ يمكن أن تصنّف فيها أنواع الصور الصحفية, بناءاً على الشكل, أو النوع, أو التقنية المستخدمة, وكذلك الغاية من الصورة. فيمكن تقسيمُ الصورةِ حسب نوع الكاميرا المستخدمة, إلى تصوير فيلمي Film Photography, وتصوير رقمي Digital Photography, ومن حيث اللون هناك التصوير الملون Colored, وهناك الأبيض والأسود Monochromatic.

ومن ناحيةِ النوع, يمكن تقسيم التصوير الصحفي إلى: (هيثم عزيزة, 1992, ص61-85)

- تصوير الإحتشادات المدنية: وهي الأحداث التي تجري وقائعها في الشاعر, عند حدوث الإضطراباتِ أو الصدامات بين المتظاهرين والشرطة, أو إطلاقُ النارِ وممارسةُ القمع خلال

الاعتصامات, وما شابه ذلك. ونظراً لأن الجهات الرسميةَ في عديدٍ من الدول لا تحبذ السماح للتغطيةِ الصحفيةِ في مثل تلك الأحداثِ كي لا تكون دليلاً ضدها, فيجب على المصوّرِ حملُ كاميرا واحدة فقط, مع عدسةِ مقرّبة Telephoto Lens؛ كي لا يضطر للإقتراب من رجال الشرطة وتعريض نفسه للخطر, كما أن الكاميرا الواحدة مع حقيبةٍ للظهر تساعده على الحركة والركض, في حال المطاردة من رجال الشرطة.

– تصوير الحروب: وهو النوع الذي تختص به هذه الدراسة, يعتبر هذا النوع من أصعب أنواع التصوير وأخطرها, وعلى المصوّر أن يكتفي بما يتوفر لديه من معدات, وخصوصاً أثناء إطلاق النيران والمعارك حيث لا يوجدُ وقتٌ كافٍ للتفكير في نوعية الأدوات التي سيستخدمها, وعليه المحافظةُ على كاميراته وسلامة أفلامه أو بطاقات الذاكرة Memory Cards في الكاميرات الرقمية, وعليه أن يضمن وصولها للمؤسسةِ التي يعمل بها (واليوم أصبح الأمرُ أكثر سهولةً بوجود الإنترنت). ويكون مصور الحروب مقيداً في الحركة إذا كان مرافقاً لقواتٍ عسكرية, حيث سيرتبطُ بتحركاتها, ويجب عليه الإلتزام بجميع التوجيهات العسكرية والتقيّد بالأنظمة الأمنية كي يحافظ على سلامته, حيث أن كثيراً منهم يلقى حتفه؛ ولذلك يحتاج التصوير الحربي إلى شجاعةٍ بالغة. ويشارُ بالذكر إلى أن مهمة المصور الحربي تختلفُ عن المصور الصحفي, في أن المصور الحربي يعامل معاملة القوات المسلحة عكس الصحفي, الذي يكون عمله حراً من الناحية المهنية ومقيداً أثناء التطبيق العملي.

– تصوير المؤتمرات الصحفية: تصوير المؤتمرات الصحفية ليست بالأمر السهل إطلاقاً, والإختلافُ الوحيدُ بينه وبين الأنواع السابقة هو أنه ينحصرُ في مساحةٍ مكانيةٍ محددة, ومن الصعوبات التي تواجه المصورين هي المنافسةُ القاتلة بين المصورين, حيث يحضرُ عددٌ كبيرٌ من المصورين الذين يرغبُ كلٌ منهم في الحصول على الصورةِ الأفضل. ومن المشاكل أيضاً وجودُ عددٍ كبيرٍ من مسجلات الصورت Mircrophones مما يشوه الصورة الصحفية, إضافةً لنور آلات التصوير التلفزيوني الذي يفسدُ الصور الفوتوغرافية, لذا يواجه المصور الفوتوغرافي صعوباتٍ كثيرةٍ خلال المؤتمر. ولتجنّب كثيرٍ من هذه المشاكل على المصور أن يكون من أول الواصلين وآخر المغادرين لمكان المؤتمر, فاللقطة الناجحة للمؤتمرات الصحفيةِ غالباً ما تكون قبل بدء المؤتمر أو بعد انتهائه, حيث تكون الصورةُ خاليةً من الاضطرابات النفسيةِ والعصبيةِ التي تسيطر على

المتحدّث في المؤتمر أحياناً نتيجة الاستفزاز من طرح الأسئلة. وعلى المصور استخدام عدسة تقريب (Telephoto Lens) للتقريب, وذات فتحةِ واسعة مثل f/ 2.8 لقلةِ الإضاءةِ غالباً, أو فلاش Flash, إضافةً إلى حاملٍ أحادي Monopod كي لا يشغل حيزاً كبيراً.

– تصوير الكوارث وأحداث الطبيعة: لا تُسند هذه المهمة إلا لمصورين من ذوي الخبرةِ والاختصاص والكفاءة, وتأتي أهميةُ تصوير الكوارث حسب نوعيةِ الحدث, كذلك صعوبته, فتصويرُ مجاعةٍ في احدى بلدانِ افريقيا أسهلُ من تصويرِ فيضانٍ يجتاح احدى المناطق, وتصوير الفيضان أسهلُ من تصوير الثورانِ البركاني. وعليه يجب أن يمتلك المصور المعداتِ اللازمةَ لهكذا أحداث, وأن يجدَ طريقةً لإيصال صوره للمحررين.

– تصوير المسارح وقاعات الموسيقى: رغم أن الإضاءة تكون محدودةً في مثل هذه العروض, إلا أن المصور يستطيع التغلّب عليها باستخدامِ أفلام عاليةِ الحساسية (أو رفع سرعة الاحتراق ISO في الكاميرات الرقمية) واستخدامُ فتحات عدسةٍ واسعة, وعلى المصور أن أيضاً استخدامُ عدسات تقريب.

– تصوير عروض الأزياء: يعتبر تصوير عروض الأزياء ممتعاً للكثيرِ من المصورين لما يحتويه من تنوعٍ في شخوص العارضات والأزياء والألوان, وعلى المصور إما أن يقوم بالتصوير من أما المسح أو خلف الجمهور, وأن يستخدم عدسة تقريب بعدها البؤري قريباً من عدسة 70–200 ملم, وأن يستخدم الفلاش إذا رأى أن إضاءة المسرح لا تكفي.

– التصوير الرياضي: التصوير الرياضي لا يقلُّ صعوبةً وأهميةً عن باقي ميادين التصوير الصحفي, فلكلّ مصورٍ صحفي رؤيته الخاصة التي تجعله يتفوق على غيره من منافسيه حسب اجتهاده, وعليه أن يكون ملمّاً باللعبة التي يقوم بتغطيتها, وكذلك ببعض قوانينها ومبادئها, كي يعرف ما هي اللحظات والأمور الحاسمة التي يستحب تصويرها. ويعتبر التصوير الرياضي من أكثر أنواع التصوير كلفةً لما يتطلبه من معداتٍ باهظة, إضافةً إلى وجودِ معداتٍ مختلفةٍ لكل نوعٍ من الرياضات ومن أكثرِ المعدّاتِ كلفةً عدسات التقريب ذات الفتحتات العالية, مثل عدسة: Canon EF 300mm IS f/2.8 والتي يصل سعرها إلى عدّةِ آلافٍ من الدولارات.

وهناك أنواعٌ أخرى من التصوير الصحفي, مثل تصوير المشاهير, والتصوير المتعلق بالتحقيقات الصحفية, وتصوير الجرائم, وتصوير الحياة العامة, وغيرها.

عناصر الصورة الصحفية

في الوقت الذي تكون فيه وظيفة العين هي الاستبصار, فإن عنصار الصورةِ تدخل في علاقاتٍ داخليةٍ تعمل بحيث تكون الصورةُ بأكملها مقروءةً بقدر ما هي منظورة. وكلّ الأجزاء المتمثّلةِ في الصورةِ من شخصيات, وديكور, وإكسسوارات, وادوات, وأشكال وألوانٍ.. إلخ, هي عناصر الصورة. وهناك عناصرٌ رئيسيةٌ وأخرى ثانوية, وتمتلكُ جميع عناصر الصورة علاقاتٍ فيما بينها (علي فاضل, 2012, ص25), وتتكاتف هذه العناصر جميعاً لإخراجِ صورةٍ واحدة ذات معنىً, بعدما يقوم العقل البشري بتفسيرها والربط فيها بينها.

وقد تتكون الصورة من عناصرة متعددة, وقد تتكون من عنصرٍ واحدٍ فقط, وهذا مرتبطٌ بعواملَ كثيراً مثل مزاجيةِ المصوّر ومستوى إدراكه لما يريد من الصورةِ أو الموضوع التي من أجله التقطت هذه الصورة وليست الأهميةُ في زيادة عدد العناصر وكثرتها دائماً, فأحياناً قد يكون من المهم جمعُ عدّة عناصر في صورةٍ صحفيةٍ للربط بينها, أو ما يطلق عليه الباحث إسم "أسلوب الجمع" (مثل أن يقوم المصور في مدينة القدس الشريف بالتقاطِ صورةٍ لسلكٍ شائكٍ مع المسجد الأقصى المبارك في الخلفية؛ ليدل بذلك على أن المسجد تحت احتلالٍ وحصار – شاهد الصورة رقم 01), حيث أن بإمكان المصوّر التقاطُ صورٍ بعنصرٍ واحدٍ فقط, بجودِ وقميةِ جماليةِ عالية, يعبّرُ لوحدهِ عن كثيرٍ من المواضيع (مثل صورة الفتاة الأفغانية الشهيرة التي التقطت في ديسمبر 1984م بعدسة "ستيف ماكري Steve McUrry" مصور مجلة "ناشيونال جيوغرافيك National Geographic" – شاهد الصورة رقم 02). وعندما تكون الصورةُ مكونةً من عنصرٍ واحد فهذا يؤدي إلى تكوين وعيٍ مباشرٍ للهدف من الصورة (خليل راتب, 2012, ص214).

وعلى المصور الصحفي عند التقاط الصورة أن يحدّد العناصر والأجسام في المكان والحدث المراد تصويره, وبذلك يحدّد ما يريدُ وضعهُ في إطار الصورة, وتحكمُ في ذلك أمرين اثنين هما: (علي فاضل, 2012, ص27)

- تحديد العناصر المطلوبة: أي انتقاء الأشياء والمكان والأجسام المراد تصويرها.
- إبراز تلك العناصر: أي التفاوت بين الأشياء المصورةِ ومدى التركيز على بعضها وإبرازها عن غيرها, لذلك ينبغي عدم ظهور جميع الأجسام والأشياء المصورة في الصورة الواحدة بالقدر نفسه من البروز والأهمية أو ما يسمى في أسس التصميم بالتأكيد على العناصر, بحيث يتم إبراز عناصرٍ أكثر من الأخرى للتأكيد عليها أو لفت الأنظار إليها أكثر من غيرها من العناصر الأخرى في الصورة.

وعلى المصوّر أن يتعرف على العلاقات بين العناصر جميعها, وأن يقوم بالتخلص من العناصر غير الضروريةِ في الصورة, والتي تقوم بتشويش العلاقات بين العناصر المهم إظهارها؛ مما يسهّل أهدافه الإتصاليةَ المنشودةَ في الصورة. (خليل راتب, 2012, ص215)

وللصورةِ ثلاثةُ موناتٍ رئيسية, هي: (علي فاضل, 2012, ص28)

1- المكون الإدراكي: ويعني الجانب المعلوماتي في الصورة, أي البيانات والمعلومات المتعلقة بموضوعٍ ما.

2- المكون العاطفي: ويتضمن تكوين اتجاهاتٍ سلبيةٍ أو إيجابيةٍ نحو موضوع الصورة.

3- المكون السلوكي: ويظهر في بعض السلوكيات المباشرة للظاهرة, مثل التحيّز لجماعةٍ ما.

ليسَ اختيارُ العناصرِ فقط هو المهم, فهناك أيضاً زاوية التقاط الصورة, حيث إن اختيار الزاوية واختيار نوع العدسة أمرٌ حاسم, لأنه يعزّز الإحساس بالواقع المرتبط بالصورة, أو يزيل هذا الإحساس. كما أن بعض زوايا التقاطِ الصورةِ المميّزة ترتبطُ اصطلاحاً ببعض الدلالات, فاللقطةُ من أعلى تعطي انطباعاً بانسحاق الشخوص أو ضعفهم, وإذا كانت من الأسفل فإنها تعطي انطباعاً

بعظمة الشخوص (مارتين جولي, 2011, ص134)

الصورة والإخراج الصحفي

الإخراج الصحفي أحدُ الفنون التطبيقية الحديثة ذات الارتباط الوثيق بالتعبير الصحفي والإتصال الجماهيري, وتقييم الأخبار وبيان أهميتها النسبية فالإخراجُ الصحفي فنٌّ علميٌ بالدرجةِ الأولى, وليس مجرّد فنٍّ جمالي (محمود علم الدين, 1989, ص9), حيث أن أسُسَ علم النفس والتصميم المتعلقةَ بحركة العين ولفت انتباه المشاهد تكون مرفقةً بقيمٍ جماليةٍ لاكتمال إخرج العمل, فإذا نقصت القيم الجمالية قلّ الإقبال عليه, ولن يجد القارئ ما يشدّه في الصفحات إلى إكمال القراءة والغوص في ثنايا الموضوع.

ويعرّف الباحث الإخراج الصحفي بأنه: "عملياتٌ تهدِفُ إلى التنسيق بين شكل المادة المطبوعة ومضمونها, للوصولِ إلى الحالةِ الشكليةِ النهائيةِ لها, سواء كانت مجلةً أو صحيفةً أو غيرها".

حيث يشمل الإخراج الصحفي على ناحيتين أساسيتين, هما: عمليةٌ إبداعيةٌ تستند إلى مبادئٍ نفسيةٍ وجمالية هدفها إعطاء الصحيفة (أو المجلة) مظهرها الخارجي المناسب. وتوافر المعارف والمهارات والوسائل التقنيةِ الضروريةِ لبناء ذلك المظهر وإلباسه الصورة المناسبة. وهناك عواملٌ مختلفةٌ تتحكم في أساليب الإخراج الصحفي ويتم مراعاتها, هي: (لؤي خليل, 2010, ص169-174)

- الجانب الإعلامي (الصحفي): الهادف إلى إبراز المادة الإعلامية المنشورة حسبما تفرضه من أولويات القيم الخبرية, أو تبعاً لترتيب أولويات الأخبار عند المحررين.

- الجانب الإعلاني (الاقتصادي): حيث تشكّل الإعلاناتُ جزءاً مهماً من دخل المؤسسات الإعلامية.

- الجانب الفني: الذي يوظف قدرات المطبعة الصحفية في خدمة المظهر العام للصحيفة, والأنواع الصحفية المعالجة فيها, وكذلك إظهار إمكانيات المصورين والخطاطين والرسامين من العاملين في المجلات والصحف المختلفة, والتي تسعى

لتحقيق التوازن والإيقاع والوضوح وسهولة القراءة وتوفير الحيوية والجاذبية والجمال.

– الجانب النفسي: الذي يراعي طبيعة الجمهور المخاطب Target Audience من حيث السنّ والمستوى الثقافي والملامح الأساسية العامة لشخصية المجتمع, الذي تصدر فيه الصحيفة (أو المجلة) وتخاطبه, وتتصل بمعرفة اتجاهات الرأي العام وعقلية الجماهير وأذواق القراء وعاداتهم, وتأثير الألوان فيهم.

– الجانب الفيزيائي: حيث أن على الإخراج الصحفي أن يراعي ما يتصل بقوانين الرؤية وحركات العين ومدى استيعابها وظروف التعرّض للضوء.

وعناصر الإخراج الصحفي (عناصر التيبوغرافيا العامّة) هي: مساحة الصفحة, وأعمدتها, والحروف (النصوص), والجداول, والفواصل, والإطارات, والصور. وما يلي شرحٌ مختصرٌ عنها: (لؤي خليل, 2010, ص175–179)

– مساحة الصفحة: تختلفُ مساحة الصفحة من حيث الطول والعرض بين الصحف العادية ذات الحجم الكبير, والصحف النصفية (التابلويد), حيث يتراوح طول الصحيفة العادية بين 35 – 56 سم, وعرضها بين 41 – 43 سم, أما الصحف النصفية فيبلغ عرضها حوالي 25 – 27 سم, وهناك صحفٌ ارتأت أن يكون حجمها بين الصحف العادية والنصفية كصحيفة لوموند Le Monde الفرنسية.

– الأعمدة: أعمدةُ الصفحةِ في معظم الصحف العاديةِ يصل إلى ثمانيةِ أعمدة, بينما يصل عددُ الصحفِ النصفيةِ إلى خمسة, وفي جريدة "هآريتس" التي قام الباحث بتحليلها وجد عدد الأعمدةِ فيها قد وصل إلى سبعة في معظم الصفحات, أما جريدة "العرب" وهي الجريدة الأخرى التي قام الباحث بتحليلها, فتتكون من خمسة أعدة في معظم صفحاتها.

– الحروف: تعتبر الحروف أهم العناصر التايبوغرافية التي تظهر في الصفحة المطبوعة, وهذه الحروف تشكّل مادة العناوين والمتن من أخبارٍ ومقالاتٍ وغيرها. وتأخذ الحروف أهميتها من أنها

المادة المعدة للنشر والقراءة, ويتوقف على حسن طباعتها ووضوحها مدى إقبال القراء على قرائتها.

– الجداول: وتظهر على الصفحة المطبوعة خطوطٌ رفيعةٌ عرضيةٌ وطوليةٌ تسمى الجداول, وتقوم بمهمة وضع حدودٍ فاصلةٍ بين الأعمدة, وإن كانت بعض الصحف المعاصرة تستغني عنها وتستخدم بدلاً منها مسافاتٍ بيضاء تؤدي وظيفة هذه الجداول.

– الفواصل الناقصة: وتتكون الفواصل الناقصة من نوعين, فرعيةٍ ونهائية, وتتلخص مهمة هذه الفواصل بالفصل بين موضوعٍ وآخر, وهي أكثرُ سمكاً من الخطوط والجداول, كما توضع بعضها تحت العناوين الجانبية لبعض الموضوعات, وقد تشير إلى امتداد موضوعٍ أخر إلى صفحاتٍ أخرى, وقد تأخذ أشكالاً زخرفيةً مختلفة.

– الإطارات: بعض الأخبار والإعلانات تحيطُ بها أخبارٌ من عدّة جهات, ويعطي الإطار أهميةً خاصةً للموضوع, ولها العديد من الإستخدامات التي تتفق مع طبيعة الإطار.

– الصور: وهي من العناصر الأساسيةِ لبناء الصفحة, وتشمل كافّة الأشكال المصورة والخرائط والرسم البياني والتوضيحي والكاريكاتوري وغيرها, وما يختص به الباحث في هذه الدراسة هو الصورةُ الفوتوغرافيةُ فقط.

والصورةُ المطبوعةُ وسيلةُ اتصالٍ, تتحدد قيمتها بقدرتها على القيام بهذا الاتصال, وعلى كيفية الاستجابة المؤثرة لدى المتلقي, ولعل هذه الخاصية هي العامل الأساسي الذي يحدد قيمة الصورة المراد نشرها. كما تحدد قيمة الصورة بأهمية الشخصية التي تتحدث عنها, وطبيعة الحدث الإخباري الذي تنقله, وطبيعة الحركة الحيوية التي تتصف بها الصورة لشدّ انتباه القارئ. وقد أثّر ازدهارُ الصورةِ إيجابياً على إخراج الصفحةِ الأولى من الجرائد وأغلفةِ المجلات, حيث أعطت الصورةُ الصحفيةُ للصفحةِ قيمةً تيبوغرافيةً لم تكن تتمتع بها من قبل. (تيسير أبو عرجة, 1986, ص75–76)

واهتمام الجرائد في الصور أهم من المجلات؛ نظراً لقصر دورتها, والطابع الإخباري الذي يميزها. وإن كانت بعض الصحف تكثر من نشر الصورِ لأسبابٍ تسويقيةٍ, أو تخصص صفحةً أو

صفحتين متخصصتين بالصور فقط, أو عمل تحقيقاتٍ مصورة (تيسير أبو عرجة, 1986, ص78). ويرى الباحث أنه كلما ركّزت الصحيفةُ على نشرِ صورٍ حول موضوعٍ معين, كلما كانت مهتمةً بهذا الموضوع, وكذلك بالنسبةِ لحجم الصور, ولونها.

والموقع المناسب لنشر الصورةِ بشكلٍ عام فهو النصف العلوي من الصفحة؛ فهو صدرها الذي تبدأ عنده رؤوس الموضوعات المهمة, وهو الذي يظهر للقارئ عند عرض الصحيفة للبيع. ولكن النصف السفلي أيضاً عليه أن يأخذ نصيبه من الأهمية والإبراز, وذلك خلال العناوين والإطارات إذا كان عدد الصور قليلاً نسبياً, أما إذا كانت كثيرة فلا بأس في نشر بعضها فيه. ومع ذلك فلا يجب استئثارُ النصف السفلي على النصف العلوي في نشر الصور, حتى وإن شغلت القسم العلوي بعض العناوين الكبيرةِ والمهمة, فصدر الصفحة يجب أن يظل دائماً مركز الثقل, وعليه تعرض أهم الموضوعات ومنها الصور (علي نجادات, 2001, ص184) وهذا ما رآه الباحث, حيث أن الصورةَ عندما تكون أعلى الصفحة تكون لها أهميةٌ عند القائم بالإتصال أكثر من أن تكون أسفل الصفحة.

ويتطلب تقدير الحجم المناسب للصورةِ على الصفحةِ براعةً فنيةً كبيرة, بوضعها على عمودٍ

7- الدراسات السابقة

أولاً: الدراسات العربية:

1- دراسة (نصر, 2007) التغطية الصحفية المصورة للحرب في لبنان في المجلات العربية دراسة تحليلية.

حاول حسني محمد نصر في بحثه تحليل التغطية الصحفية المصورة التي قمتها المجلات العربية الإخبارية الأسبوعية للحرب التي شنتها إسرائيل على لبنان في يوليو 2006, و التي استمرت نحو 33 يوماً, و ذلك من خلال تحليل كل الصور التي نشرتها العينة المتاحة لنا من هذه المجلات. و قد بلغ عدد الصور التي تتصل بالحرب و قام نصر بتحليلها أكثر من 546 صورة. و شمل التحليل محورين هما: كشف حجم اهتمام المجلات

العربية بصور الحرب, و تحليل دلالة هذا الاهتمام و تفسيره في اطار الحدث نفسه و القيم المهنية الصحفية.

و قد خلص البحث إلى عدد من النتائج أهمها:

أ- دعم الفرضية القائلة بأن الصور الإخبارية التي نشرتها المجلات الإخبارية العربية للحرب على لبنان تتفق بصورة كبيرة مع المواقف العامّة للشارع العربي.

ب- تأثرت التغطية بعدد من العوامل أهمها تعدد مصادر الصور بشكل كبير و حرية الحركة التي أتيحت للمصورين و غيرها.

ت- رغم أن الصور الصحفية كانت معظمها لوكالات أجنبية, إلا أنها من الناحية الدلالية تصب في مصلحة الطرف اللبناني بشكلٍ كبير.

ث- عكست التغطية الصحفية المصورة للحرب على لبنان مواقف محددة من أطراف الصراع أهمها إدانة استخدام القوة المفرطة من جانب إسرائيل عن طريق إبراز صور الدمار.

ج- عكست التغطية الصحفية المصورة للحرب موقفاً واضحاً من حزب الله و حسن نصر الله, فقد أظهرت صور ضحايا الجنود الإسرائيليين و الدبابات المدمرة بالإضافة إلى صور المناطق الإسرائيلية التي أصابها القصف الصاروخي لحزب الله مما يعكس صورةً إيجابيةً لمقاتلي الحزب على أنهم مقاتلين أقواء و أشداء.

و يرى الباحث أن هذه الدراسة تصلح لأن تكون ضمن الدراسات السابقة لمشابهة تجربتها بالتجربة الحالية, حيث أنها دراسةٌ تحليليةٌ للصور الصحفية في نزاعٍ مسلح و قد أثرت دراسة الباحث كثيراً.

2- رسالة ماجستير (زيدان,2010) اتجاهات التغطية الإخبارية لصحيفة نيويورك تايمز قبل الحرب الأمريكية على العراق خلال المدّة من 20 تشرين الأول 2002 إلى 20 آذار 2003.

اهتمت الدراسة بتحليل التغطية الإخبارية لصحيفة نيويورك تايمز إبان الحرب على

العراق, و قد أثبتت نتائج الدراسة كيف يتم التلاعب بالأطر الخبرية للأخبار المتعلقة بالعراق, حيث اعتمد المحررون على الانتقائية في الأخبار, و ركزوا على مصطلحاتٍ و أفكارٍ معينة و أهملوا أخباراً أخرى, و مما يعني باختصار اثبات التلاعب الإعلامي الأمريكي بالرأي العام و إخفاءه للحقائق.

و قد اختار الباحث هذه الدراسة بالرغم من عدم تناولها لموضوع الصور أو موضوع النزاع المسلح في سوريا كونها شبيهةً إلى حدٍّ كبير بهذه الدراسة في الإطار النظري.

3- دراسة (علاونة,2011) "الصورة الصحفية في الصحافة الأردنية اليومية: دراسة تحليلية مقارنة لصحيفتي "الدستور" و "الغد" ".

هدفت هذه الدراسة إلى تعرّف مدى الأهمية التي توليها الصحف الأردنيّة اليوميّة للصورة الصحفية، والموضوعات التي تعالجها الصور الصحفيّة ومصادر هذه الصور، باستخدام منهج تحليل المضمون لعينة عشوائية من صحيفتي الدستور والغد.
ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

أ- احتلّت الصور الصحفية التي عالجت الموضوعات الرياضيّة والثقافية المرتبتين الأولى والثانية على التوالي بين الموضوعات جميعها.
ب- 52% من الصور الصحفية التي تنشرها الصحف الأردنية يزودها بها المصورون العاملون لديها.
ت- 58.4% من الصور التي تنشرها الصحف الأردنية صور موضوعية، 41.6% صور شخصية.
ث- 66.9 من الصور الصحفية في الصحف الأردنيّة اليوميّة تحمل قيماً إيجابية.

و قد اختار الباحث هذه الدراسة كونها تختص بالصورة الصحفية, و تتخذ المنهج التحليلي المقارن و هو المنهج الذي سيتخذه الباحث في دراسته.

4- كتاب (واكيم, جمال 2011) "صراع القوى الكبرى على سوريا: الأبعاد الجيو-سياسية لأزمة 2011".

يخوض الكتاب شرحاً مطولاً ومفصّلاً عن عمق الأزمة القائمة في سوريا, وعن أصلها وتاريخها الجيو-سياسي وأبعادها التي انفجرت مؤخراً. ويتحدث "جمال واكيم" عن سوريا المشرذمة على حدّ تعبيرها, وعن أن لكلّ إقليمٍ منها تبعيةٌ لأقاليمَ خارجية. فمدن شمال سوريا يمتد إليها نفوذ العراق, وجنوباً حيث درعا وسهول حوران وجبل الدروز توجدُ علاقاتٌ وصلةُ قويةٌ بالأردن, وعن التقسيم الطائفي في سوريا, وعن الطبقات الاجتماعية المختلفة ذاتب البعد الاقتصادي التي لعبت دوراً كبيراً. وعن النفوذ الأجنبي في سوريا, وعن النظام وما حلّ به من أحداث.

5- كتاب (باروت, محمد 2012) "القعد الأخير في تاريخ سوريا: جدلية الجمود والإصلاح".

يعتبر هذا الكتاب مكملاً للكتاب السابق, حيث خاض الكاتب "محمد باروت" يوميات النزاع القائم في سوريا حتى منتصف عام 2011 بشكلٍ دقيق, كتب عن النظام السوري الحالي برئاسة بشار الأسد وكيفية تعامله مع الأزمة, واستفاد منه الباحث كثيراً في تدعيم إطاره النظري.

6- رسالة ماجستير (الشيخ, 2012) دور المواطن الصحفي في الحراك السوري من وجهة نظر قادة الرأي الأعلامي العربي الأردن والكويت ومصر أنموذجا.

هدفت دراسة "حنان الشيخ" إلى عرض تطور ونشأة ظاهرة صحافة المواطن في المشهد الإتصالي الحديث, وذلك من خلال بيان خصائصها الفكرية والاجتماعية. واختصت الدراسة تحديداً بدراسة دور المواطن الصحفي في الحراك السوري (النزاع السوري), ورغم أن الباحث لم يجد تطابقاً في المنهجية أو النظريات, إلا أنه اطلع على هذه الدراسة وقرر ادراجها ضمن الدراسات السابقة لاختصاصها بالمشهد السوري.

ثانياً: الدراسات الأجنبية:

3- دراسة (روستوفستيفا, 2009) تأثير تحديد الأجندة في الصحافة الدولية على عالم التدوين: تحليل مضمون الجدال حول صور رويترز الصحفية خلال الحرب اللبنانية الإسرائيلية في العام 2006.

Inter-media agenda setting role of the blogosphere: A content analysis of the Reuters photo controversy coverage during the Israel-Lebanon conflict in 2006

خلال الحرب اللبنانية الإسرائيلية عام 2006, دار جدالٌ حاد بين المدونين حول بعض الصور المنشورةِ من وكالة رويترز , والتي قام بعض المصورين فيها بعمل تعديلاتٍ رقميةٍ طفيفةٍ لجعل صورهم أكثر إثارة, وقامت الباحثة في هذه الدراسة بعد تحليل المضمون بتوضيح دور المدونين في كشف أجندة وكالات الأنباء والإعلام الدولي حول النزاع. وقام الباحث بالاطلاع على هذه الدراسة لكونها تستخدم المنهج التحليلي, وتتحدث عن الصور الصحفية, وعن نظرية تحديد الأجندة.

2- دراسة (نيكوليف, 2009) صور الحرب: تحليل مضمون للتغطية المصورة لحرب كوسوفو.

Images of War: Content Analysis of the Photo Coverage of the War in Kosovo

هذه الدراسة هو تحليل مضمون التغطية للحرب في كوسوفو بالمجلات الأمريكية الثلاثة الرئيسية التايمز TIMES و نيوزويك Newsweek، وأخبار الولايات المتحدة والتقرير العالمي. و كان الصراع في كوسوفو كان حربا أهلية بين السكان الصرب في كوسوفو بدعم من الحكومة اليوغسلافية والألبانية منظمة إرهابية القومية (جيش تحرير كوسوفو). السؤال الرئيسي من هذه الدراسة هو: هل وسائل الإعلام الأمريكية تروي هذه الحروب بصدق؟ و هل كانت هناك تغطية بشكل متوازن للصور الصحفية للحرب مع تحيز واضح ضد الصرب؟ و تم في الدراسة تقديم الشرح النظرى لأنواع مماثلة من الحالات. و قد تناول المؤلف هذه الظاهرة ووضع وسائل الإعلام والتحريض في وسائل الإعلام الأمريكية, و حدّد ثمانية من الخصائص الرئيسية لمثل هذه الحالات. وعرض أيضا نظرية العرض والطلب على الأخبار السياسية في هذه المقالة. (ألكسندر نيكوليف, 2009)

3- دراسة (يونجوان, 2011) "الإنترنت والسياسة في الصين: تأثير نظرية تحديد الأجندة على الرأي العام في التغطية الإعلامية وسياسة الحكومة.

The Internet and politics in China: The agenda-setting influence of online public opinion on media coverage and government policy

الصين أكثرُ بلدٍ مستخدمٍ للإنترنت في العالم, وأكثر المعلومات على الإنترنت باللغة الصينية, والحكومة الصينية تستخدم أشدّ أنواع الرقابة على الإنترنت, وقد استفاد الباحث في هذه الدراسة التي استخدمت نظرية تحديد الأجندة وشملت على الصورة الصحفية بشكلٍ كبير.

الفصل الثالث: منهج الدراسة

1- منهج البحث:

اعتمد الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي المقارن, حيث استخدم أداة تحليل المضمون Content Analysis, وهو تصنيف المادة المكتوبة أو المسموعة أو المرئية تحت فئاتٍ معينة, ووفق معاييرٍ محدّدةٍ بما يكشف خصائص هذه المادة, من حيث الشكل والمحتوى (بركات عبد العزيز, 2012, ص257). وهو تكنيكٌ بحثي من أجل صنع إحالاتٍ من البيانات قابلةٌ للتكرار, وصادقةٌ بالنسبة لسياقها, ويعرفه "كيرلنجر Kerlinger" بأنه: "منهجٌ لدراسة الإتصال وتحليله بطريقةٍ منتظمةٍ وموضوعيةٍ وكميّة بهدف قياس المتغيرات". (ويمر ودومينيك, 1989, ص205)

تضمن تعريف "كيرلنجر" ثلاثة مفاهيمٍ أساسية, الإنتظام والموضوعة والكميّة, سيتم تفصيل هذه المفاهيم على النحو الآتي: (ويمر ودومينيك, 1989, ص205-206)

- تحليل المضمون منتظم SYSTEMATIC: وهذا يعني أن تحليل المضمون يتم ضمن قواعدٍ تطبيقيةٍ واضحةٍ ومنسّقة, وكل عنصرٍ فيه يجب أن يأخذ فرصةً متساوية.

- تحليل المضمون موضوعي OBJECTIVE: أي أن الذاتية الشخصية وتحيزات الباحث يجب ألا تدخل في النتائج, ويجب أن تبقى نتائج التحليل نفسها عندما يقوم بالبحث باحثٌ آخر.

- تحليل المضمون كمّي QUANTITIVE: إن الهدف من تحليل المضمون هو التمثيل الدقيق للرسائل الإتصالية, والحساب الكمي هامٌ في تحقيق ذلك الهدف ويسمح للباحثين أن يلخصوا نتائجهم ويكتبوها بشكلٍ دقيق جداً, وكذلك فإن الحساب الكمّي يعطي الباحثين أدواتٍ إحصائيةٍ إضافية يستخدمونها للمساعدة في التفسير والتحليل.

عند القيام بعملية تحليل المضمون يجب وضعُ تصنيفاتٍ في الكشّاف الخاص وتسمى "فئات Categories", وهي المفهوم الجوهري في تحليل المضمون, ويقصد بها التصنيفات الرئيسية والفرعية للمادة التي يتم تحليلها, ويتم تحديد فئات تحليل المضمون بناءاً على أهداف البحث وتساؤلاته (عبد العزيز بركات, 2012, ص259). وفي مجال تحليل المضمون لا توجد فئاتٌ نمطيةٌ جاهزةٌ للاستخدام في كافة البحوث, وإنما يوجد إطارٌ عامٌ يمكن إعداد الفئات على ضوءه, حيث تخضع الفئات لطبيعة البحث وأهدافه ومتطلباته ونوعية التحليل وموضوع المضمون وكميته وشكله, كما تختلف هذه الفئات التفصيلية أيضاً طبقاً للمجال العلمي الذي تجري فيه الدراسة التحليلية (منال مزاهرة, 2011, ص166). وفي كشاف تحليل المضمون الخاص بهذه الدراسة قام الباحث بتقسيم الفئات في جداول, مثل نوع الصورة, ولون الصورة, وحجم الصورة, وموقعها, وغيرها من الفئات التي تم تقسيمها وتوظيفها لخدمة أهداف الدراسة والإجابة على تساؤلاتها.

وأما عدد التكرارت التي تحدث خلال عملية التحليل عند كل بند فتسمى "وحدات Units", حيث أن الهدف من تحليل المضمون هو الوصف الكمّي للرسالة الإتصالية (عبد العزيز بركات, 2012, ص265-266). وفي هذه الدراسة استخدم الباحث وحدة "الصورة".

كما استخدم الباحث المنهج المقارن, والذي يستخدم عند الموازنة أو المضاهاة بين حالتين مختلفتين جوهرياً أو أكثر, وتحدثان في السياق الطبيعي, والمقارنة بينهما. (منال مزاهرة, 2011, ص 129) و بناءاً على ذلك, فإن الباحث قام بتحليل مضمون الصور في كلٍ من صحيفتي هآريتس والرياض, واستخلاص النتائج, ثم المقارنة بينهما.

2- مجتمع الدراسة:

يتمثل مجتمع بجميع الصور المنشورة في صحيفتي العرب القطرية وهآريتس الإسرائيلية, واختار الباحث الصحيفتين للأسباب التالية:

- صحيفة هآريتس (**הארץ**): تم اختيار صحيفة هآريتس كونها أول صحيفةٍ إسرائيلية, وتنشرُ آراءاً مختلفة, وبشكلٍ عام فإن الصحف الإسرائيلية متفقةٌ حول نشر القاضيا الأمنية منذ حرب العام 1973. (ذكر في الفصل السابق)

- صحيفة العرب: تم اختيار صحيفة الرياض لكونها من الصحف الرائدة في نشر أخبار السياسة الدولية والعربية في قطر ولكونها أول صحيفةٍ قطرية, وبشكلٍ عام فإن الصحف القطرية متشابهةٌ جدا, حسب ملاحظة الباحث خلال مطالعته لعدةِ صحفٍ قطرية.

3- عينة الدراسة:

إن نوع العينة التي استخدمها الباحث في هذه الدراسة تسمى "العينة القصدية (العمدية) Purposive Sample" وهي احدى أنواع "العينات غير الاحتمالية Non-Propability Samples", والتي تتضمن مواداً أو أفراداً تنطبق عليهم المعايير التي يريدها الباحث (ويمر ودومينيك, 1989, ص99-100). فكانت معايير العينة أن تكون الصور الصحفية الخاصة بالأزمة السورية والمنشورة في صحيفتي العرب القطرية وهآريتس الإسرائيلية, وأن تكون منشورةً بين 1-1-2012 و31-12-2012 ما عدا يوم السبت.

وتألفت عينة الدراسة من 1257 صورة صحفية خاصة بأحداث سورية ومنشورة في 304 عدد لكل من صحيفتي العرب وهآريتس (بمجموع 608 أعداد لكليهما), حيث قام الباحث باستثناء أعداد يوم السبت في جريدة العرب نظراً لأن جريدة هآريتس لا تصدر يوم السبت إضافةً لاستثناء الأعداد التي لم تتوفر أو تصدر من كلى الصحيفتين. وبالتالي فإن العينة هي: الصور الصحفية حول أحداث سوريا والمنشورة ابتداءاً من تاريخ 1-1-2012 حتى 31-12-2012 في صحيفتي العرب وهآريتس.

وأما الأعداد التي لم تتوفر أو تصدر من هآريتس فكانت على النحو الآتي:

- الجمعة 13/4/2012.
- الخميس 26/4/2012.
- الأحد 27/5/2012.
- الإثنين 17/9/2012.
- الثلاثاء 18/9/2012.
- الأربعاء 26/9/2012.
- الإثنين 1/10/2012.
- الخميس 4/10/2012.
- الإثنين 8/10/2012.

أما صحيفة العرب فقد صدرت وتوفرت أعدادها طيلة أيام العام 2012.

4- أدوات الدراسة:

تمثلت أدوات الدراسة في أداة تحليل المضمون, حيث قام الباحث بتصميم كشافٍ خاص بتحليل مضمون الصور الصحفية في صحيفتي العرب وهآريتس بشكلٍ كميّ بما يخدم أهداف البحث وتساؤلاته (ملحق رقم 01). إضافةً لجوانبٍ من التحليل الكيفي لتعزيز نتائج الدراسة وتسهيل الإجابة على التساؤلات, ولتعويض الفجوة التي قد تصيب التحليل الكمي المجرّد نظراً للاختلاف الإيدولوجي والثقافي بين القائمين بالإتصال في كلتا الصحيفتين, وكي يساعد الباحث أيضاً في تحليل نتائج الدراسة, مع مراعاة الموضوعيةِ في التحليل الكيفي في هذه الدراسةِ الحسّاسة.

5- صدق الأداة:

إن مفهومي الصدق و الثبات في تحليل المضمون لا يختلف عنهما في البحث العلمي بشكلٍ عام, فالصدق Validity يعني أن يتمكن كشاف تحليل المضمون من القياس الذي تم تصميمها لقياسه بدقة (بركات عبد لعزيز, 2012, ص274), أو كفاءة الكشاف في الإجابة على تساؤلات البحث بدقة. وقام الباحث بفحص كشاف تحليل المضمون بدقة ومضاهاة فئاته بتساؤلات البحث, والتأكد من شموله للفئات الرئيسية والفرعية. وكذلك تحقق الباحث من الصدق عن طريق عرضها على المختصين والخبراء المعروفين بالخبرة و الممارسة في هذا المجال, حيث عرضها الباحث على تسعة أساتذةٍ من ثلاثِ جامعاتٍ مختلفةٍ في المملكة الأردنية الهاشمية وفلسطين, أقلهم يحمل شهادة الدكتوراة بدرجة "أستاذ مساعد", وتم الأخذ بتحكيمهم ونصائحهم. (قائمة الأساتذة

المحكّمين في الملحق رقم 02)

6- ثبات الأداة:

يعني الثبات Reliability أن تعطي استمارة تحليل المضمون النتائج نفسها أو ما يقاربها في حال إعادة تطبيقها على مادة معينة في أوقات مختلفة, أو بواسطة باحثين مختلفين (بركات عبد العزيز, 2012, ص275), حيث إن أردنا أن يكون تحليل المضمون موضوعياً, فيجب أن تكون إجراءاته ثابتة (ويمر ودومينيك, 1989, ص225).

وفي هذه الدراسة قام الباحث بإيجاد الثبات عن طريق إعادة التطبيق الذاتي Self Re-test, وهي أن يقوم الباحث بتحليل عينة الثبات, وبعد مدةٍ زمنيةٍ (شهر على الأقل) يعيد الباحث تحليل العينة نفسها, ومن ثم حساب الفئات المتفقة في التجربتين (بركات عبد العزيز, 2012, ص278).

واختار الباحث شهر يناير في كلٍ من الصحيفتين ليكون عينةً للتحقق من الثبات؛ نظراً لضيق الوقت المتاح أمام الباحث, حيث انتهى الباحث من تحليل شهر يناير في كلا الصحيفتين بتاريخ 26-4-2013, وفي 6-5-2013 قام الباحث بإعادة تحليل شهر يناير, ليحصل على ثباتٍ في صحيفة العرب بنسبة 97.1%، وثباتٍ في تحليل هآريتس بنسبه 85.7%, ليكون معدل الثبات في كليهما 91.4%.

7- متغيرات الدراسة:

المتغيرات المستقلة:

- إسم الصحيفة: (صحيفة العرب, و صحيفة هآريتس).

المتغيرات التابعة:

- عدد الصور التي تنشرها كل صحيفة
- إتجاهات و مضامين الصور المنشورة
- أعداد الصحيفة

8- المعالجة الإحصائية:

من أجل الوصول إلى نتائج الدراسة والتحقق منها, استخدم الباحث وسائل الإحصاء الخاصة بتحليل المضمون وهي:

- النسب والتكرار.

9- إجراءات الدراسة:

كانت إجراءات الدراسة التي قام بها الباحث كما يلي:

أولاً: تصميم كشاف تحليل المضمون الخاص بالدراسة بناءاً على تساؤلاتها. وتحكيمه من تسعة محكمين.

ثانياً: اختار الباحث عينةً قصديةً من صحيفتي العرب وهآريتس منشورةً في الفترة الواقعة من 2012-1-1 إلى 2012-12-30, مع اختزال أعداد يوم السبت, والأيام التي لم تصدر أو تتوفر فيها احدى الصحف.

ثالثاً: إجراء دراسة الثبات بشكلٍ ذاتي في شهر يناير من العام 2012 لكل صحيفة.

رابعاً: إجراء تحليل المضمون للعينة في كلٍ من الصحيفتين.

خامساً: عمل الجداول لتفريغ نتائج الدراسة.

سادساً: تحليل نتائج الدراسة وتفسيرها.

سابعاً: إخراج الرسالة بشكلها النهائي.

وتمثلت المشاكل التي واجهت الباحث خلال إجراءات الدراسة فيها يلي:

- عدم توفر أرشيف لصحيفة هآريتس في الضفة الغربية مما اضطر الباحث للحصول على تصريح بصعوبة من الإرتباط المدني الإسرائيلي لدخول أراضي فلسطين المحتلة عام 1948 واجتياز الحواجز الإسرائيلية وقطع مسافةٍ تتجاوز الـ60 كيلومتراً بشكلٍ شبه يومي إلى مدينة تل أبيب لتحليل الأعداد في الأرشيف القومي الإسرائيلي الخاص بالدوريات في كبرى المكتبات العامة بتل أبيب.

- اللتعرض للمعاملة العنصرية من أمن المكتبة الإسرائيلي في تل أبيب.

- قلة الدراسات الخاصة بالأزمة السورية, وعدم وجود دراسات خاصة بالصور الصحفية للأزمة في حدود علم الباحث.

الفصل الرابع: نتائج الدراسة

من أجل تحقيق أهداف الدراسة والإجابة على أسئلتها, تم إجراء تحليل المضمون لعينةٍ من صحيفتي "العرب" و"هآريتس" ومن ثم تحليل نتائجها, وفيما يلي عرضٌ للنتائج التي توصل لها الباحث:

عدد الصور المنشورة

جدول رقم (1)

التوزيع التكراري والنسبي لعدد الصور المنشورة

في كلٍ من صحيفتي العرب وهآريتس عام 2012

نوع الصحيفة	التكرار	النسبة
هآريتس	15246	%36.94
العرب	26016	%63.06
المجموع	41262	%100

يمثل الجدول السابق مجموع الصور المنشورة في كلٍ من صحيفتي العرب وهآريتس خلال العام 2012, حيث بلغ مجموع الصور في كليهما 41262 صورة, موزعةً في 15246 صورةٍ في صحيفة هآريتس العبرية بنسبة 36.94%, أما في صحيفة العرب القطرية فبلغ عدد الصورة المنشورة فيها 26016 صورة بنسبة 63.06%.

نوع الصور المنشورة

جدول رقم (2)

التوزيع التكراري والنسبي لنوع الصور

المنشورة في صحيفة هآريتس لعام 2012

نوع الصورة	التكرار	النسبة
صحفية	10948	%71.80
غير صحفية	4298	%28.20
المجموع	15246	%100

يمثل الجدول السابق نوع الصور المنشورة في صحيفة هآريتس عام 2012, حيث صنفها الباحث في كشاف تحليل المضمون إلى فئتين هما "الصحفية" و"الغير صحفية", حيث بلغ عدد الصور الصحفية المنشورة في هآريتس 10948 صورة بنسبة 71.80%, بينما بلغ عدد الصور غير الصحفية فيها 4298 صورة بنسبة 28.20%.

جدول رقم (3)

التوزيع التكراري والنسبي لنوع الصور
المنشورة في صحيفة العرب لعام 2012

نوع الصورة	التكرار	النسبة
صحفية	**23772**	**%91.37**
غير صحفية	**2244**	**%08.63**
المجموع	**26016**	**%100**

أما الجدول السابق فيمثل التوزيع التكراري والنسبي لنوع الصور المنشورة في صحيفة العرب القطرية للعام 2012, حيث بلغ عدد الصور الصحفية 23772 صورة بنسبة 91.37%, و 2244 صورة غير صحفية بنسبه 8.63%.

علاقة الصور بالنزاع المسلح الداخلي في سوريا

جدول رقم (4)

التوزيع التكراري والنسبي لعدد الصور ذات العلاقة بالنزاع في سوريا
والمنشورة في كلٍ من صحيفتي العرب وهآريتس عام 2012

نوع الصحيفة	التكرار	النسبة
هآريتس	**207**	**%1.9**
العرب	**1050**	**%4.42**
المجموع	**1257**	**%6.32**

يظهر الجدول السابق التوزيع التكراري والنسبي للصور ذات العلاقة بالنزاع المسلح الداخلي في سوريا, بواقع 207 صور في صحيفة هآريتس بنسبه 1.9%, و1050 صورة في صحيفة العرب بواقع 4.42%, وبلغ مجموع الصور ذات العلاقة في الصحيفتين معاً 1257 صورةً بنسبة 6.32%.

الإخراج الصحفي للصورة الصحفية ذات العلاقة بأحداث سوريا

جدول رقم (5)

التوزيع التكراري والنسبي للصور الملونة ذات العلاقة بالنزاع في سوريا والمنشورة في كلٍ من صحيفتي العرب وهآريتس عام 2012

نوع الصحيفة	التكرار	النسبة
هآريتس	207	%100
العرب	1050	%100
المجموع	1257	%100

كافة الصور ذات العلاقة بالنزاع في سوريا والمنشورة خلال العام 2012 في صحيفتي العرب وهآريتس كانت ملونة كما يبين الجدول السابق, ولم تنشر أي صورةٍ بالأبيض والأسود.

جدول رقم (6)

التوزيع التكراري والنسبي لحجم الصور ذات العلاقة بالنزاع في سوريا والمنشورة في صحيفة هآريتس لعام 2012

حجم الصورة	التكرار	النسبة
صفحة كاملة	0	%00.00
نصف صفحة	1	%00.48
ربع صفحة	12	%05.80
أقل من ربع	196	%93.72
المجموع	207	%100

ومن ناحية الحجم يظهر الجدول السابق التوزيع التكراري والنسبي لحجم الصور الصحفية ذات العلاقة بالنزاع المسلح الداخلي في سوريا والمنشور في صحيفة هآريتس عام 2012, حيث لم تنشر أي صورةٍ بحجم صفحةٍ كاملة, بينما نشرت صورةٌ واحدة بحجم نصف صفحة وبنسبة 0.48%, أما الصور التي بلغ حجمها ربع صفحة فكانت 12 صورةً بنسبة 5.8%, فيما كانت بقية الـ196 صورة بحجمٍ أقل من ربع الصفحة, وبنسبة 93.72%.

جدول رقم (7)

التوزيع التكراري والنسبي لحجم الصور ذات العلاقة بالنزاع
في سوريا والمنشورة في صحيفة العرب لعام 2012

حجم الصورة	التكرار	النسبة
صفحة كاملة	0	%00.00
نصف صفحة	0	%00.00
ربع صفحة	0	%00.00
أقل من ربع	1050	%100
المجموع	1050	%100

والجدول السابق يوضح حجم الصور ذات العلاقة بأحداث سوريا والمنشورة في صحيفة العرب, حيث كانت جميعها أقل من ربع صفحة حجماً.

جدول رقم (8)

التوزيع التكراري والنسبي لموقع الصور ذات العلاقة بالنزاع
في سوريا داخل الصفحة والمنشورة في صحيفة هآريتس لعام 2012

مكان الصورة	التكرار	النسبة
أعلى الصفحة	126	%60.87
وسط الصفحة	47	%22.70
أسفل الصفحة	33	%15.49
صفحة كاملة	1	%00.48
المجموع	207	%100

يوضح الجدول السابق التوزيع التكراري والنسبي لموقع الصور ذات العلاقة بأحداث سوريا داخل الصفحة في صحيفة هآريتس, حيث أن أعلى نسبةٍ فيها كانت الصور المنشورة في أعلى الصفحة وهي 60.87% والبالغ عددها 126 صورة, يليها الصور المنشورة في وسط الصفحة بواقع 47 صورة ونسبة 22.70%, أما الصور المنشورة أسفل الصفحة فبلغ عددها 33 صورة فيما نسبته 15.49%, وفي النهاية تبقى الصور المنشورة على صفحة كاملة بواقع صورةٍ واحدة بنسبة 00.48%, وهذا لا يعني بالضرورة حجم الصورة طولاً وعرضاً, فقد تكون بحجم ربع صفحةٍ أو أقل ولكنها بطول صفحةٍ كاملة.

جدول رقم (9)

التوزيع التكراري والنسبي لموقع الصور ذات العلاقة بالنزاع
في سوريا داخل الصفحة والمنشورة في صحيفة العرب لعام 2012

مكان الصورة	التكرار	النسبة
أعلى الصفحة	630	%60.00
وسط الصفحة	228	%21.71
أسفل الصفحة	192	%18.28
صفحة كاملة	0	%00.00
المجموع	207	%100

الجدول السابق يُظهر التوزيع النسبي والتكراري لموقع الصورة المتعلقة بالنزاع المسلح الداخلي في سوريا داخل الصفحة في صحيفة العرب القطرية, حيث بلغت الصور في أعلى الصفحة 630 صورة بنسبة 60.00%, أما الصور المنشورة وسط الصفحة فبلغ عددها 228 صورة بنسبة 21.71%, أما الصور المنشورة أسفل الصفحة فعددها 192 بنسبة 18.28%, بينما لم تكن هناك أي صورةٍ بحجم الصفحة الكاملة.

جدول رقم (10)

التوزيع التكراري والنسبي لمكان الصور ذات العلاقة بالنزاع
في سوريا داخل الصحيفة والمنشورة في صحيفة هآريتس لعام 2012

مكان الصورة	التكرار	النسبة
الصفحة الأولى	24	%11.59
الصفحة الخلفية	1	%00.48
الصفحة الثانية	1	%00.48
الصفحة الثالثة	10	%04.83
صفحات داخلية	171	%82.60
المجموع	207	%100

يوضح الجدول السابق التوزيع التكراري والنسبي لمكان الصورة ذات العلاقة بالنزاع في سوريا داخل الصحيفة والمنشورة في صحيفة هآريتس عام 2012, حيث بلغ عدد الصور المنشورة على الصفحة الأولى 24 صورة بنسبة 11.59%, وصورةٌ واحدٌ على كلٍ من الصفحة الخلفية والثانية بنسبة 00.48% لكلٍ منهما, أما الصفحة الثالثة فكان عدد الصور المنشورة عليها 10 صور بنسبة 04,83%, وباقي الصور نشرت على صفحاتٍ داخليةٍ ونسبتها 82.60% حيث بلغ عددها 171.

جدول رقم (11)

التوزيع التكراري والنسبي لمكان الصور ذات العلاقة بالنزاع
في سوريا داخل الصحيفة والمنشورة في صحيفة العرب لعام 2012

مكان الصورة	التكرار	النسبة
الصفحة الأولى	**168**	**%16.00**
الصفحة الخلفية	**0**	**%00.00**
الصفحة الثانية	**12**	**%01.14**
الصفحة الثالثة	**6**	**%00.57**
صفحات داخلية	**864**	**%82.28**
المجموع	**1050**	**%100**

يوضح الجدول السابق التوزيع التكراري والنسبة لمكان الصور ذات العلاقة بالنزاع المسلح الداخلي في سوريا داخل صحيفة العرب, حيث بلغ عدد الصور المنشورة في الصفحة الأولى 168 صورة بنسبة 16.00%, وبينما لم تنشر أي صورةٍ على الصفحات الخلفية, فقد انتشرت 12 صورةً على الصفحة الثانية بنسبة 01.14%, وفي الصفحة الثالثة بلغ عددها 6 صور بنسبة 00.57%, وانتشرت باقي الصور في الصفحات الداخلية وعددها 864 صورة بنسبة 82.28%.

مواضيع الصور الصحفية الخاصة بالنزاع في سوريا

الجدولين رقم (12) و (13) في الصحفتين التاليتين يعرضان التوزيع التكراري والنسبي للمواضيع التي احتوتها الصور الصحفية الخاصة بالنزاع المسلح الداخلي في سوريا والمنشورة خلال العام 2012 في صحيفتي العرب وهآريتس, ومن أكثر المواضيع التي ركزت عليها هآريتس "الضرر بالمدنيين بسبب الحكومة" حيث تكررت 51 مرة بنسبة 24.64%, و"الدمار بسبب الحكومة" حيث تكررت 40 مرة بنسبة 19.32%, و "صور شخصية لشخصيات مؤيدة للحكومة" حيث تكررت 36 مرة بنسبة 17.40%. أما صحيفة العرب فأكثر ما ركزت على نشره كان "احتشاد المدنيين المؤيدين للمعارضة" بتكرار 336 وبنسبة 32%, و "الصور الشخصية للشخصيات المؤيدة للمعارضة" التي تكررت 144 مرة بنسبة 13.71%, و "الجهود الدبلوماسية المؤيدة للمعارضة" بتكرار 114 مرة ونسبة 10.86%.

جدول رقم (12)

التوزيع التكراري والنسبي لمواضيع الصور ذات العلاقة بالنزاع في سوريا داخل والمنشورة في صحيفة هآريتس لعام 2012

موضوع	التكرار	النسبة
دمار بسبب الحكومة	40	%19.32
دمار بسبب المعارضة	1	%00.48
دمار بسبب غير محدد	2	%00.97
ضرر بمدنيين بسبب الحكومة	51	%24.64
ضرر بمدنيين بسبب المعارضة	0	%00.00
ضرر بمدنيين بسبب غير محدد	1	%00.48
ضرر بالحكومة	16	%07.73
ضرر بالمعارضة	3	%01.45
نشاط عسكري للحكومة	12	%05.80
نشاط عسكري للمعارضة	29	%14.00
نشاط إيجابي للحكومة	11	%04.35
نشاط إيجابي للمعارضة	3	%01.45
نشاط سلبي للحكومة	5	%02.42
نشاط سلبي للمعارضة	0	%00.00
جهود دبلوماسية محايدة	6	%02.90
جهود دبلوماسية مؤيدة للحكومة	6	%02.90
جهود دبلوماسية مؤيدة للمعارضة	6	%02.90
جهود دبلوماسية مجهولة التوجه	1	%00.48
صور شخصية لشخصيات محايدة	8	%03.86
صور شخصية لشخصيات مؤيدة للحكومة	36	%17.40
صور شخصية لشخصيات مؤيدة للمعارضة	14	%06.76
صور شخصية لشخصيات مجهولة التوجه	4	%01.93
احتشاد مدنيين مؤيد للمعارضة	24	%11.60
احتشاد مدنيين مؤيد للحكومة	9	%04.34
قوات دولية محايدة	1	%00.48
صور جوية	2	%00.97
صور من الحياة العامة	1	%00.48
مساعدات للمدنيين	0	%00.00

جدول رقم (13)

التوزيع التكراري والنسبي لمواضيع الصور ذات العلاقة بالنزاع
في سوريا داخل والمنشورة في صحيفة العرب لعام 2012

موضوع	التكرار	النسبة
دمار بسبب الحكومة	54	%05.14
دمار بسبب المعارضة	6	%00.57
دمار بسبب غير محدد	6	%00.57
ضرر بمدنيين بسبب الحكومة	54	%05.14
ضرر بمدنيين بسبب المعارضة	6	%00.57
ضرر بمدنيين بسبب غير محدد	0	%00.00
ضرر بالحكومة	12	%01.14
ضرر بالمعارضة	0	%00.00
نشاط عسكري للحكومة	42	%04.00
نشاط عسكري للمعارضة	48	%04.57
نشاط إيجابي للحكومة	5	%00.47
نشاط إيجابي للمعارضة	6	%00.57
نشاط سلبي للحكومة	7	%00.66
نشاط سلبي للمعارضة	0	%00.00
جهود دبلوماسية محايدة	60	%05.71
جهود دبلوماسية مؤيدة للحكومة	30	%02.86
جهود دبلوماسية مؤيدة للمعارضة	114	%10.86
جهود دبلوماسية مجهولة التوجه	0	%00.00
صور شخصية لشخصيات محايدة	96	%09.14
صور شخصية لشخصيات مؤيدة للحكومة	108	%10.29
صور شخصية لشخصيات مؤيدة للمعارضة	144	%13.71
صور شخصية لشخصيات مجهولة التوجه	6	%00.57
احتشاد مدنيين مؤيد للمعارضة	336	%32.00
احتشاد مدنيين مؤيد للحكومة	0	%00.00
قوات دولية محايدة	0	%00.00
صور جوية	0	%00.00
صور من الحياة العامة	0	%00.00
مساعدات للمدنيين	30	%02.86

ملاحظات للباحث خلال التحليل

- في صحيفة هآريتس قل الاهتمام بالأزمة السورية خلال فترة الإنتخابات المصرية, وأصبح نشر صور النزاع في سوريا شبه معدوم خلال تلك الفترة في شهر مايو 2012.

- في كلا الصحيفتين كان التركيز على نشر صور الجماعات الإسلامية المتشددة مثل "جبهة النصرة" أقل بكثير من نشر صور الجماعات المسلحة غير المتشددة في المعارضة مثل "الجيش الحر".

- عند اشتداد وتيرة المشكلة النووية مع إيران كان يُهمل النزاع المسلح الداخلي السوري في صحيفة هآريتس.

- خلال الهجوم الإسرائيلي على قطاع غزة نهاية العام 2012, وخلال توجه السلطة الفلسطينية للأمم المتحدة للحصول على طلب العضوية قل الإهتمام بالأزمة السورية في هآريتس.

- في صحيفة العرب كان الإهتمام بالأزمة السورية شبه ثابت, وكأنه روتين.

- في كثيرٍ من الحالات كان يحدث هناك تطابقٌ تام أو شبه تام في الصور المنشورة في الصحيفتين. (مثال على ذلك شاهد صورة رقم 03)

الإجابة على تساؤلات الدراسة

1- ما هي اتجاهات الصور الصحفية المنشورة حول النزاع المسلح الداخلي في سوريا في كل من الصحافة القطرية والإسرائيلية؟

مطالعةٌ بسيطةٌ لنتائج التحليل تكشف لنا أن إتجاه الصور الصحفية المنشورة في كلا

الصحافتين حول النزاع المسلح الداخلي في سوريا متشابهٌ إلى حدٍّ كبير, وهو اتجاهٌ مؤيدٌ لدعم المعارضة السورية وتأييدها.

فقد أثبتت الدراسة أن كلا الصحافتين تنشران الصور التي تدين الحكومة السورية, وسعت دائماً إلى تبييض صورة المعارضة عن طريق الامتناع عن نشر ما يشينها. وذلك واضحٌ في النسب والمذكورة في الجدولين رقم (12) و (13).

2- ما هي مضامين الصور الصحفية المنشورة حول النزاع المسلح الداخلي في سوريا في كلٍ من الصحافة القطرية والإسرائيلية؟

تنوعت مضامين الصور الصحفية المنشورة حول النزاع السوري في كلٍّ من الصحافتين, فكانت أبرز وأغلب مضامين الصور في الصحافة الإسرئيلية تتكلم عن: (الترتيب حسب الكمّ)

- ضرر بمدنيين بسبب الحكومة.
- دمار بسسبب الحكومة.
- صور شخصية لشخصيات مؤيدة للحكومة.
- نشاط عسكري للمعارضة.
- احتشاد مدنيين مؤيد للمعارضة.
- ومواضيع أخرى أقل ذكراً موجودة في الجدول رقم (12).

وكذلك الأمر في الصحافة القطرية, حيث تنوعت المضامين للصور الخاصة بالنزاع السوررري, وكان أبرزها: (الترتيب حسب الكمّ)

- احتشاد مدنيين مؤيد للمعارضة.
- صور شخصية لشخصيات مؤيدة للمعارضة.
- جهود دبلوماسية مؤيدة للمعارضة.
- صور شخصية لشخصيات مؤيدة للحكومة.

– إضافةً إلى مواضيعٍ أخرى أقل ذكراً موجودة في الجدول رقم (13).

3– ما هي دلالات الصور الصحفية المنشورة حول النزاع المسلح الداخلي في سوريا في كلٍ من الصحافة القطرية والإسرائيلية؟

تدل مضامين الصور الصحفية المنشورة حول النزاع المسلح الداخلي في سوريا في الصحافة الإسرائيلية على اهتمامها بالأزمة القائمة في سوريا, بشكلٍ كبير, وسعيها لتشويه صورة الحكومة السورية والجيش السوري, عن طريق نشر الإنتهاكات التي يقوم بها بحق المدنيين, إضافةً إلى احتشادات المدنيين المؤيدة للمعارضة والتي تدل على تركيز الصحافة الإسرائيلية على توجيه رسالةٍ للقراء مفادها أن الشعب السوري يريد المعارضة. رغم أن هآريتس تنشر صوراً بمضامين مختلفةٍ أحياناً إلا أن ذلك في نظر الباحث ليس إلا إجراءاً للحفاظ على المظهر الموضوعي للصحيفة.

والشيء نفسه تقريباً في الصحافة القطرية, إلا أن تركيزها كان بالشكل الأكبر على احتشادات المدنيين والتظاهرات المؤيدة للمعارضة, وعلى إظهار الشخصيات المؤيدة للمعارضة وقياداتها, إضافةً إلى الجهود الدبلوماسية التي تصب في مصلحة المعارضة, ولم يكن نشرها لصور الدمار وصور ضحايا المدنيين بسبب الحكومة بنفس الكمّ المنشور في الصحافة الإسرائيلية, ويرى الباحث أن السبب يعود إلى اتّباع قطر للسياسة الأمريكية الممنهجة في الشرق الأوسط والعالم بحجة نشر الديموقراطية وتحقيق ما تريده الشعوب, أما إسرائيل فلم تكثر من نشر الصور الشخصية لقادة ومؤيدي المعارضة بقدر نشرها لقادة ومؤيدي النظام لترسيخ صورتهم كمجرمين ومدانين في عقول الجمهور.

4– أي صحافةٍ منهما كانت الأكثر اهتماماً بالنزاع المسلح الداخلي في سوريا؟

كمّاً كانت الصحافة القطريةُ أكثر اهتماماً بالأزمة, فكانت نسبة الصور الصحفية ذات العلاقة بالنزاع في سوريا من مجمل الصور الصحفية 1.9% في هآريتس, بينما كانت في صحيفة العرب القطرية ما نسبته 4.42%.

أما كيفاً, كانت الصحافة الإسرائيلية هي الأكثر اهتماماً, فمن حيث حجم الصور كانت جميع

الصور المنشورة في صحيفة العرب حول الأزمة أقل من ربع صفحة, أما في صحيفة هآريتس فكانت نسبة الصور الصحفية والتي حجمها نصف صفحة 0.48%, والصور التي حجمها ربع صفحة كانت نسبتها 5.80%, وباقي الصور كانت أقل من ربع صفحة بنسبة 93.72%. إضافةً إلى أن الصور التي تعتبر شواهداً ضد انتهاكات الحكومة كانت تأخذ الحيز الأكبر, وتوضع في الصفحات التي تسبق الصور الأخرى المتعلقة بالنزاع, إضافةً إلى كونها في أعلى الصفحة. وطبيعة القائمين بالإتصال في صحيفة العرب وبعدهم الثقافي المختلف كلياً عن البعد الثقافي والعرقي والديني والقومي للقائمين بالإتصال في هآريتس جعلهم ينشرون بكمٍّ أكبر حول النزاع في سوريا, والأمر نفسه بالنسبة للجمهور الإسرائيلي, وهذا يجعل هآريتس تتفوق كيفاً على العرب في الاهتمام بالقضية.

يذكر أن بعض المجالات مثل لون الصورة وترتيب الصورة داخل الصفحة متساويةٌ تقريباً بين الصحيفتين مما جعلها تبدو كدليلٍ إضافيٍ على تقارب السياسات الصحفية الإسرائيلية القطرية.

الفصل الخامس: مناقشة النتائج والتوصيات

1- نتائج الدراسة

من خلال الملاحظات الجداول التي تم عرضها وتحليلها توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- تميلُ الصحافتين القطرية والإسرائيلية للإهتمام إعلامياً بالنزاع المسلح الداخلي في سوريا, وتتفقان في الوقوف إعلامياً إلى جانب المعارضة السورية ضد الحكومة السورية, وفي حين أن الصحافة القطرية تهتم كماً أكثر من نظريتها الإسرائيلية, فإن الأخرى تهتم كيفاً بشكلٍ أكبر.

- اهتمت الصحافة الإسرائيليةُ بشكلٍ كبيرٍ في إظهارِ صورة نمطيةٍ عن الحكومة السورية وقياداتها للرأي العام, والتركيز على إظهار القتلى من المدنيين والدمار الذي لحق بسوريا من قوات الحكومة. في حين سعت الصحافة القطريةُ إلى تلميع صورة المعارضة السورية وقياداتها, وعدم نشر أيّ شيءٍ يشيبها, وركزت بالشكل الأكبر على على نشر صور التظاهرات والإحتشادات المؤيدة للمعارضة السورية, حيث أن 32% من الصور الصحفية المنشورة حول الأزمة السورية كان موضوعها هذه الاحتشادات المؤيدة للمعارضة, للدلالة على أن الشعب السوري يؤيد المعارضة ولا يؤيد الحكومة, وقد نشرت صحيفة هآريتس صوراً من هذا المضمون لكن بنسبة 11.6%. ويرى الباحث أن الصحافتين بهذه التوجّهات تكملان بعضهما بعضاً في التوجّه نحو النزاع في سوريا بهذه الطريقة, ويرى الباحث أيضاً بأن تركيز الصحافة القطرية على أن نسبةً كبيرةً من المدنيين تؤيد المعارضة السورية ليس إلا ترجمةً للسياسة التي تتبعها الحكومة القطرية, والتي تسعى من خلالها للتماشي مع السياسات الأمريكية في الشرق الأوسط وتطبيقها.

2- توصيات الدراسة

خلصت الدراسة إلى مجموعةٍ من التوصيات, وهي:

- عدم النظر إلى الأخبار المنشورة في الصحافتين القطرية والإسرائيلية حول النزاع المسلح الداخلي في سوريا على أنها أخبارٌ موضوعيةٌ وغير منحازة, وإدراجها ضمن إطار الدعاية الإعلامية المنحازةِ إلى طرفٍ ما.

– التحرّي الدقيق للأخبار المنشورة حول النزاع المسلح الداخلي في سوريا, وعدم النظر للأزمة من منظورٍ واحد, وتكوينُ نظرةٍ شاملةٍ وعميقةٍ حول الأزمة.

– الحذر من المجهول الذي تحذو حذوه قيادة المعارضة السورية بتأييدٍ من الصحافة الإسرائيلية والقطرية, الذي قد يقود إلى نتائجٍ لا تحمدُ عقباها, والتي قد تكون بعيدةٌ كل البعد عن تطلعات الشعب السوري, وربما تنعكس سلباً على مستقبل القضية الفلسطينية.

المراجع

1- المراجع العربية:

الكتب

أبو أصبع, صالح خليل (2010). **"الإتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة"**. ط 6. (عمّان: دار البركة للنشر والتوزيع).

أبو زيد, فاروق (2007). **"الإعلام والسلطة, إعلام السلطة وسلطة الإعلام"**.ط 1. (القاهرة: عالم الكتب).

أبو عرجة, تيسير (1986). **"إخراج الصحف والمجلات"**. ط1. (دبي: دار القلم).

باروت, محمد جمال (2012). **"العقد الأخير في تاريخ سورية, جدلية الجمود والإصلاح"**. ط1. (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات).

البدراني, فاضل محمد (2011). **"الإعلام, صناعة العقول"**. ط1. (بيروت: منتدى المعارف).

جمال, أمل (2005). **"الصحافة والإعلام في إسرائيل"**. ط1. (رام الله: مدار).

حجاب, محمد منير(2010). **"نظريات الإتصال"**.ط1. (القاهرة: دار الفجر للنشر).

خليل, لؤي (2010). **"الإعلام الصحفي"**. ط 1. (عمّان: دار أسامة للنشر والتوزيع).

الخنسا, عفاف (2010). **"التنافس السياسي الإنكليزي الفرنسي في المشرق العربي"**. ط1. (جبل لبنان: دار القماطي للطباعة والنشر).

الدسوقي, عاصم و لاشين, عبد الخالق و عبد الرحمن, عبد الرحيم و غنيم, عادل (1984). **"الصحافة القطرية والقضايا العربية"**. ط1. (الدوحة: جامعة قطر).

راتب, خليل (2012). «**التصوير الصحفي**». ط 1. (عمّان: دار أسامة للنشر والتوزيع).

الربيعي, نزار (2012). **"دراسات في تاريخ سوريا المعاصر"**. ط1. (بغداد: دار ضفاف للطباعة والنشر).

الرفوع, عاطف (2004). **"الإعلام الإسرائيلي ومحددات الصراع, الصحافة نموذجاً"**. ط1. (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر).

سعد الدين, عدنان (2006). **"مذكرات وذكريات, الإخوان المسلمون في سوريا"**. ط1. (عمان: دار عمار).

سميسم, حميدة (2006). «**نظرية الرأي العام**». ط2. (القاهرة: الدار الثقافية للنشر).

الصايغ, نصري (2011). **"عبد الحميد كرامي"**. ط1. (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر).

العارف, عارف (2005). **"المفصل في تاريخ القدس"**, ط2. (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع).

عبد العزيز, بركات (2012). "**مناهج البحث الإعلامي**".ط1. (القاهرة: دار الكتاب الحديث).

عبد الكافي, اسماعيل (2010). **"السياسات الإعلامية, في مصر والعالم العربي"**. ط1. (القاهرة: هبة النيل العربية للنشر والتوزيع).

عتلم, حازم (2008). **"قانون النزاعات الدولية المسلحة"**.ط2. (بيروت: دار النهضة العربية).

عزّت, عزة علي (1983). **"الصحافة في دول الخليج العربي"**. ط1. (بغداد: مركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج العربي).

عزيزة, هيثم عبد الفتاح (1992). **"الصورة الصحفية"**. ط1. (بغداد: د.ن.)

علم الدين, محمود (1989). **"الإخراج الصحفي"**. ط1. (القاهرة: العربي للنشر والتوزيع).

فاضل, علي عباس (2012). **"الصورة في وكالات الأنباء العالمية, بين الاستمالة والإقناع"**. ط1. (عمّان: دار أسامة).

قهوجي, حبيب نوفل (1974). **"الصحافة الإسرائيلية و المجتمع"**. ط1.(دمشق: مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية).

الكواري, ربيعة بن صباح و مبروك, مراد عبد الرحمن (2004). **"الصحافة القطرية والإتصال اللغوي"**. ط1. (الدوحة: شركة الخليج للنشر والطباعة).

محمد, جعفر قاسم (1987). **"سورية والإتحاد السوفييتي, دراسة في العلاقات العربية السوفييتية"**. ط1. (لندن: دار رياض الريس).

محمد, حسن أحمد و سيف الدين, أسامة و الصاوي, أحمد حسين (د.ت). **"الصحافة القطرية, نشأتها وتطورها"**. (الدوحة: د.ن.).

مزاهرة, منال هلال (2011). "**بحوث الإعلام الأسس و المبادئ"**. ط1. (عمّان: دار كنوز المعرفة).

نجادات, علي (2001). «**الإخراج الصحفي, اتجاهاته ومبادئه والعوامل المؤثرة فيه وعناصره**». (إربد: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعة والنشر والتوزيع).

واكيم, جمال (2011). **"صراع القوى الكبرى على سوريا, الأبعاد الجيوسياسية لأزمة 2011"**, ط1. (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر).

الكتب المترجمة

جولي, مارتين (2011). "**مدخل إلى تحليل الصورة**". (ترجمة علي أسعد). (دمشق: دار الينابيع). (الكتاب الأصلي منشور سنة 1993).

سيل, باتريك (1968). **"الصراع على سوريا"**. ط1. (ترجمة سمير عبده ومحمود فلاحة). (بيروت: دار الأنوار). (الكتاب الأصلي منشور سنة 1965).

سيل, باتريك (2007). **"الأسد, الصراع على الشرق الأوسط"**. ط10. (بيروت: مؤسسة المطبوعات للدراسات والنشر). (الكتاب الأصلي منشور سنة 1990).

هينبوش, رايموند (2011). **"سورية ثورة من فوق"**. (ترجمة حازم نهار). (بيروت: رياض الريس للكتب والنشر). (الكتاب الأصلي منشور سنة 2002).

ويمر, روجر. و دومينيك, جوزيف (1989). "**مناهج البحث الإعلامي**". (ترجمة صالح خليل أبو إصبع). "دمشق: صبرا للطباعة و النشر". (الكتاب الأصلي منشور سنة 1983).

المعاجم

حجاب, محمد منير (2004). **"المعجم الإعلامي"**. ط1. (القاهرة: دار الفجر).

سولنييه, فرانسواز بوشيه (2006). "**القاموس العلمي للقانون الإنساني**". (ترجمة محمد مسعود و آخرون) ط1. (بيروت: دار العلم للملايين).

الدراسات

اسماعيل, محمد زكريا (1994). **"الهوية العربية في مواجهة السلام الإسرائيلي". عدد 190, ديسمبر, (مقال)**,(المستقبل العربي).

دياب, محمد زهير (1992). **"الموقف السوري من التسوية السلمية للنزاع العربي الإسرائيلي. (مقال)** (مجلة الدراسات الفلسطيية).

زيدان, عبد الرحمن (2010). **"إتجاهات التغطية الإخبارية لصحيفة نيويورك تايمز قبل الحرب الأمريكية على العراق خلال المدة من 20 تشرين الأول 2002 إلى 20 آذار 2003: دراسة تحليلية" (رسالة ماجستير غير منشورة)**. (جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا: عمّان).

الشيخ, حنان (2012). **"دور المواطن الصحفي في الحراك السوري من وجهة نظر قادة الرأي الإعلامي العربي". (رسالة ماجستير غي منشورة),** (عمّان: جامعة الشرق الأوسط).

علاونة, حاتم (2011). **"الصورة الصحفية في الصحافة الأردنية اليومية دراسة تحليلية مقارنة لصحيفتي الدستور و الغد".** (دراسات للعلوم الإنساسية و الإجتماعية: عمّان).

نصر, حسني (2007). "التغطية الصحفية المصورة للحرب في لبنان", **مؤتمر فيلادلفيا الدولي الثاني عشر في الفترة من 10-30 إلى 11-1,** جامعة فيلادلفيا, عمّان, المملكة الأردنية الهاشمية.

دراسات مترجمة

(2003). **"مقياس ثقة الجمهور بالإعلام".** تقرير رقم 1. (تقرير). (جامعة تل أبيب: مركز حاييم هرتسوغ للإعلام والمجتمع والسياسة).

لفي, تسفي (1987). **"لجنة المحررين: الأسطورة والواقع"**. عدد 1, أيار, (تل أبيب: كيشر).

ناؤور, مردخاي (1998). **"الصحافة في السنوات الأولى للدولة"**. عدد 32, أيار, (تل أبيب: كيشر).

المصادر الإلكترونية

حيدر, زياد (2011). الأسد في مقابلة مع "وول ستريت جورنال": "التغيير يفتح العقول لا بالمراسيم, سبب استقرار سوريا التناغم بين السياسات ومعتقدات الشعب لا مصالحه فحسب". السفير. (Online) Not Availabe: www.assafir.com/article.aspx?editionid=1760&channelid=41306&articleid=113&author=%D8%B2%D9%8A%A7%D8%AF%20%D8%AD%D9%8A%D8%AF%D8%B1>

العلواني, طه (2003). حقيقة حزب البعث وتكوينه. شبكة الحوار العربي. (Online) Available: http://www.alhewar.net/Basket/Taha_The_Reality_of_the_Baath_Party.htm#_edn1

(2011) توجيه برفع الحجب عن موقع "فيسبوك" في سورية.. واليوتيوب بدون بروكسي على مزود "تراسل" الحكومي. ديبرس (Online)
Available: www.dp-news.com/pages/detail.aspx?articleid=73458

(2011) اعتصام أمام السفارة الليبية بدمشق تضامناً مع الشعب الليبي. ديبرس (Online)
Available: http://www.dp-news.com/pages/detail.aspx?articleid=75415

(2011) ناشطون حقوقيون يؤكدون سقوط أكثر من 100 قتيل في درعا السورية. روسيا اليوم (Online)
Available: http://arabic.rt.com/news/66170/

(2011) ارتفاع عدد القتلى واللاجئين في سوريا. الجزيرة.نت (Online)
Available: http://www.aljazeera.net/news/pages/9418bf27-f254-4290-bda1-053b51d23428

(2011) ناشطون ينشرون فيديو لعقيد يعلن تشكيل "الجيش السوري الحر". نوّرت (Online)
Available: http://news.nawaret.com/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A/%D9%86%D8%A7%D8%B4%D8%B7%D9%88%D9%86%D9%8A%D9%86%D8%B4%D8%B1%D9%88%D9%86-%D9%81%D9%8A%D8%AF%D9%8A%D9%88%D9%84%D8%B9%D9%82%D9%8A%D8%AF-%D9%8A%D8%B9%D9%84%D9%86%D8%AA%D8%B4%D9%83%D9%8A%D9%84-%D8%A7

(2011) الرستن مدينة أشباح.. ونزوح الآلاف من سكانها.. وحملة عسكرية في ريف دمشق. الشرق الأوسط (Online)
Avaibable: http://www.aawsat.com/details.asp?section=4&article=643217&issueno=11997#.UeAWGT9r9g8

(2012) من نحن. صحيفة العرب القطرية. (Online)
Available: http://www.alarab.qa/pages.php?issueId=2078&id=15

(2013) مجموعة "الثمانية الكبار" تدعو جميع الدول لزيادة المساعدات للشعب السوري. روسيا اليوم (Online)
Avaibale: http://arabic.rt.com/news/612637/

2- المراجع الأجنبية:

الكتب

Batatu, Hanna (1999). **"Syria's Peasantry, the Descendants of it's Lesser Rural Notables, and their Politics"**. (1st Ed.). New Jersey: Princeton University Press.

Drysdale, Alasdair and Hinnebusch, Raymond (1991). **"Syria and the Middle East Peace Process"**. New York: Council of Foreign Relations Press.

Hopewood, Derek (1988). **"Syria 1945-1986, Politics & Society"**.(1st Ed.). London: Unwin Hyman Limited.

Laurens, Henry (1998). **"Le retour des exiles, la lutte pour la palestine de 1869 a 1997"**.(1st Ed.) Pais: Robert Laffont.

Laurens, Henry (2000). **"l'Orient Arabe, Arabisme et Islamisme de 1798 a 1945"**. Paris: Armand Collin.

Nikolas, Van Dam (1979). **"The Struggle for Power in Syria, Sectarianism, Regionalism & Tribalism in Politics, 1961-1978".**(1st Ed.). London: Groom Helm Limited.

Perthes, Volker (1995). **"The Political Economy of Syria Under Assad"**. (1st Ed.). London: Ib. Tauris.

Provience, Michael (2005). **"The Great Syrian Revolt & The Rise of Arab Nationalism"** (1st Ed.) Austin: University of Texas Press).

Tibawi (1969). **"A Modern History of Syria"**. (1st ed.). London: Macmillan St. Martin.

Tibi, Bassam (1981). **"Arab Nationalism, A Critical Enquiry"**. London: Macmillan Press.

Weulersse, Jacques (1946). **"Paysans de Syrie et du Proche-Orient"**. Paris: Gillmard.

Zeine, Zeine (1969). **"The Struggle for Arab Indipendence".** Beiruit: Khayyat.

المعاجم

Prakel, David (2009). **"The Visual Dictionary of Photography"**. (1st Ed.). Case Postale: AVA Books.

الدراسات

Abu Khalil, Assad (1994). **"Syria and the Arab Israeli Conflict"**. February, (Current History).

Chalala, Elie (1985). **"Syrian Policy in Lebanon"**. Vol. 4, No. 1, (Journal of Arab Affairs).

Drysdale, Alsalair (1981). **"The Syrian Political Eltite, 1966-1976: A Spatial and Social Analysis"**. Vol. XVII,(Middle Eastern Studies)

Entman,R,M,(1991)**"Framing u.s Covarage of International News : Contrasts In Narratives of the Kal and Iran Air Incidents".** Journal of Communication.

Hinnebusch, Raymond (1996). **"Does Syria Want Peace?, Syrian Policy in the Syrian Israeli Peace Negotiations"**. no. 101. (Journal of Palestine Studies)

Luo, Yunjuan (2011). **"The Internet and politics in China: The agenda-setting influence of online public opinion on media coverage and government policy"**. (Indiana University).

Ma'oz, Moshe (1992). **"Syrian-Israeli relations and the Middle East Peace Process"**. Vol. 14, No. 3, (The Jerusalem Journal of International Relations".

Nikolaev, Alexander G. (2009). **"Images of War: Content Analysis of the Photo Coverage of War in Kosovo".** Critical Phsycology. (Sage Publications Ltd.)

Rostovtseva, Nataliya (2009). **"Inter-media agenda setting role of the blogosphere: A content analysis of the Reuters photo"**.

Warriner, Doreen(1962). **"Land reform and development in the Middle East: a study of Egypt, Syria, and Iraq"**. Royal Institute of International Affairs.

(1955) **IBRD Annual Report. International Bank for Reconstruction and Development.**

"controversy coverage during the Israel-Lebanon conflict in 2006". (The University of North Carolina at Chapel Hill).

المراجع الإلكترونية

(2013). Suez Crisis. Wikipedia. (Online)
Available: http://en.wikipedia.org/wiki/Suez_Crisis

(2012). A Picture is Worth a Thousand Words. Wikipedia. (Online)
availabe:http://en.wikipedia.org/wiki/A_picture_is_worth_a_thousand_words

(2012). Syrian Civil War. Wikipedia. (Online)
availabe: http://en.wikipedia.org/wiki/Syrian_civil_war#Free_Syrian_Army

(1998) PHOTOGRAPHS FROM THE CRIMEAN WAR BY CAROL SZATHMARI I AMERICAN AND BRITISH COLLECTIONS. Archive (Online)
Available: http://web.archive.org/web/20110716064447/http://www.mnir.ro/publicat/anuar/10/ionescu.html

(W.D) Dycam Model 1, The world's first consumer digital still camera. DigiBarn Computer Museum (Online)
Available: http://www.digibarn.com/collections/cameras/dycam-model1/index.html

(W.D) The Mexican American War. Mexican History. (Online)
Available: http://mexicanhistory.org/mexicanamericanwar2.htm

الملاحق

ملحق رقم 01: كشاف تحليل المضمون الخاص بالدرسة

كشاف تحليل مضمون جريدة هآريتس

اليوم: ح☐ ن☐ ث☐ ر☐ خ☐ ج☐

التاريخ: / / ٢٠١٢

العدد: .....

نوع الصورة (A)	
١- صحفية	٢- غير صحفية

علاقتها بأحداث سوريا (B)	
١- ذات علاقة	٢- ليست ذات علاقة

حجم الصورة (D)			
١- صفحة كاملة	٢- نصف صفحة	٣- ربع صفحة	٤- أقل من ربع

موقع الصورة في الصفحة (E)			
١- أعلى الصفحة	٢- وسط الصفحة	٣- أسفل الصفحة	٤- صفحة كاملة

موقع الصورة في الصحيفة (F)				
١- الصفحة الأولى	٢- الصفحة الخلفية	٣- الصفحة الثانية	٤- الصفحة الثالثة	٥- صفحات داخلية

لون الصورة (C)	
١- ملونة	٢- غير ملونة

موضوع الصورة (G)	
١- دمار بسبب الحكومة	٢- دمار بسبب المعارضة
٣- دمار بسبب غير محدد	٤- ضرر بمدنيين بسبب الحكومة
٥- ضرر بمدنيين بسبب المعارضة	٦- ضرر بمدنيين بسبب غير محدد
٧- ضرر بالحكومة	٨- ضرر بالمعارضة
٩- نشاط عسكري للحكومة	١٠- نشاط عسكري للمعارضة
١١- نشاط إيجابي للحكومة	١٢- نشاط إيجابي للمعارضة
١٣- نشاط سلبي للحكومة	١٤- نشاط سلبي للمعارضة
١٥- جهود دبلوماسية محايدة	١٦- جهود دبلوماسية مؤيدة للحكومة
١٦- جهود دبلوماسية مؤيدة للمعارضة	١٧- جهود دبلوماسية مجهولة التوجّه
١٨- صور شخصية لشخصيات محايدة	١٩- صور شخصية لشخصيات مؤيدة للحكومة
٢٠- صور شخصية لشخصيات مؤيدة للمعارضة	٢١- صور شخصية لشخصيات مجهولة التوجه
٢٢- احتشاد مدنيين مؤيد للمعارضة	٢٣- احتشاد مدنيين مؤيد للحكومة
أخرى(تذكر)	

ملحق رقم 02: محكمي كشاف تحليل المضمون الخاص بالدرسة

الإسم	الجامعة
د. كامل خورشيد	جامعة الشرق الأوسط ـ عمّان
د. رائد البياتي	جامعة الشرق الأوسط ـ عمّان
د. محمود السعدي	جامعة الشرق الأوسط ـ عمّان
د. صباح ياسين	جامعة الشرق الأوسط ـ عمّان
أ.د. تيسير أبو عرجة	جامعة البتراء ـ عمّان
د. منال مزاهرة	جامعة البتراء ـ عمّان
د. نسرين عبد الله	جامعة البتراء ـ عمّان
د. فريد أبو ضهير	جامعة النجاح ـ نابلس
د. سمر الشنار	جامعة النجاح ـ نابلس

ملحق رقم 03: التاريخ الجيو-سياسي للجمهورية العربية السورية

الأسس الجغرافية

الجغرافيا كانت من كتب قدر سوريا التاريخي, فكان موقعها الإستراتيجي كونها جسراً يربط القارات الثلاث (آسيا, أفريقيا, أوروبا) قد عرّض البلاد لحراكات شعوبٍ مختلفة, بالإضافة للغزو البدوي والدرزي, واللذين خلفا ورائهما تنوعاً ثقافياً اجتماعياً استثنائياً. وكان لتعقيد البلاد جغرافياً وتضاريسياً من صحارى وسهول وواحاتٍ وجبال أثرٌ في تعزيز هذه التجربة. (رايموند هينبوش, 2011, ص 60)

ومن الناحية التاريخية, فقد تكونت سوريا من ثلاث عوالم, المدينة, والصحراء, والمناطق الزراعية. وكانت المدينة مكاناً للسلطة والثروة (Warriner,1962,P67), وسمح الموقع الجغرافي للمدن التجارية القديمة في سوريا, دمشق وحلب, بالإزدهار تجارياً. ونشبت في تلك المدن ثقافةٌ تجاريةٌ قوية, ولكن مواقعها أيضاً جعلها حساسةً للتبدلات والإنتكاسات التي كانت تصيب تلك الطرق. ومن الجدير بالذكر أن سوريا تفتقر لمعظم الموارد الطبيعية اللازمة لدعم التصنيع, ومع ذلك فإن مدنها تتمتع بتاريخٍ عريق في الصناعات والحرف اليدوية, وعلى هذا الأساس تم بناء الصناعات الزراعية والمعدنية المعاصرة. (رايموند هينبوش, 2011, ص 60)

في الصحراء, كانت هناك حدودٌ لمراكمة الثروة من تربية المواشي عند البدو, وكان التنقل والنهب, أو الضرائب التي غالباً فرضت على أهالي القرى العزّل, لم تترك سوى فوائض متواضعة نسبياً لثروة أولئك البدو. وفي السنوات الأخيرة لم يعد البدو قوةً اجتماعيةً فاعلة بعدما استقر قسمٌ كبيرٌ منهم, وترك الترحال. أما القرية فقد بقيت محصورةً بين مطرقة البدو وسندان المدينة, وكانت تُستغلُّ من كلتا الطرفين. (Weulersse, 1946, P61-87, P249-250)

وعلى الرغم من أن المجتمع السوري مجتمعٌ زراعي, إلا أن نصف الأراضي السورية عبارةٌ عن أراضٍ صحراوية, و 10% فقط من مساحة الأراضي السورية تحظى بالهطول المطري الملائم للزراعة المروية المستقرة, بالإضافة لـ30% أخرى كافيةٌ لزراعة الحبوب, لكنها تعاني من فتراتٍ جفافٍ دورية. ولذلك لم يقدر للنظام السوري القائم على الزراعة أن يزدهر قبل أن تأتي دولةٌ قويةٌ لتوفر له الأمن والرّي. وحتى ذلك لم يكن متوفراً بشكلٍ مستمر, بل كان متقطعاً نتيجة افتقار نظامٍ يوحدّ

الأنهار, ولموقع سوريا المكشوف الذي جعلها غنيمةً للامبراطوريات المتنافسة, مما عرقل نشوء دولةٍ محليةٍ قابلةٍ للاستمرار. (IBRD, 1955, P29, 35, 21)

نهايات الحكم العثماني في سوريا و الحرب العالمية الأولى

في بداية القرن العشرين, ظهرت التياراتُ القومية المختلفةُ في سوريا –والتي كانت آنذاك تحت الحكم العثماني– وكان أبرز هذه التيارات تيار القومية العربية. وقد نال هذا التيارُ دفعاً قويا بعد الإنقلاب الذي قامت به "جمعية الإتحاد والترقي" على السلطان "عبد الحميد الثاني" عام 1908, والذي قاده ضباطٌ عثمانيون اتخذوا من الثورة الفرنسيةِ مثالاً أعلى لهم. واعتقدوا بأن بإمكانهم إقامة ملكيةٍ دستورية في الدولة العثمانية, بينما اعتقد آخرون بأنه بالإمكان إقامة جمهوريةٍ تضم جميع شعوب وقوميات الدولة العثمانية, ووفقاً لمبادئ العدالة والمساواة؛ مما يمنع انهيار الدولة العثمانية واندثارها. (Henry Laurens, 2000, P132)

وبعد الإنتكاسات الخطيرة التي تعرضت لها الدولة العثمانية خلال حروب البلقان عامي 1912 و 1913 وفقدانها أغلبية ممتلكاتها الأوروبية, تبنت "جمعية الإتحاد والترقي" سياسةً قوميةً متطرفة اقتضت فرض الهوية التركيةِ على كافة المواطنين, عُرفت بسياسة التتريك. ودفعت هذه السياسة العرب للتحرك قومياً والمطالبةِ بحقوقهم, وتراوحت مطالبهم بين الحكم الذاتي, والحقوق الثقافية, والاستقلال التام عن الدولة العثمانية. (جمال واكيم, 2011, ص86)

تلك الحركات العربية ومطالبها قد أقلقت بال الأتراك, فقاموا بإقصاء الضباط العرب عن قيادة الجيوش, وتعيين ضباطٍ أتراك مكانهم, كما أرسلوا وزير البحر آنذاك "جمال باشا" إلى بلاد الشام في يناير عام 1914, والذي كان قطباً من أقطاب الإتحاديين. وعُهد إليه قيادة الجيش الرابع الذي كان مقره دمشق, وقام "جمال باشا" بالعمل على تصفية الداعين للقومية العربية, وأقام لهم المحاكم, وحكم على كثيرٍ منهم بالإعدام, و قد لقّب "بالسفّاح". (عارف العارف, 2005, ص555) وعززت سياساته التوجّه الراديكالي بين القوميين العرب, والذين بات أغلبهم يؤيدون الإنفصال عن الدولة العثمانية. (جمال واكيم, 2011, ص87)

وبينما استقرت خطوط الجبهة في أوروبا عام 1915, كان باعتقاد البريطانيين أن بإمكانهم

تحقيق نجاحاتٍ في مناطق أخرى من العالم, واتجهت أنظارهم شرقاً للدولة العثمانية. وكانوا قلقين من استخدام السلطان العثماني كخليفةٍ للمسلمين لإعلان الجهاد على بريطانيا وفرنسا, مما قد يؤدي لتمرد المسلمين في مستعمراتهم, وبدأوا بالبحث عن شخصيةٍ دينيةٍ يمكن أن تؤدي دوراً رمزياً بين المسلمين لمواجهة السلطان العثماني. فاتجهوا إلى حاكم مكة آنذاك "الشريف حسين بن علي" الذي كان ناقماً على العثمانيين, ودعموا الثورة التي قادها من الحجاز والتي انطلقت شرارتها الأولى في السادس عشر من حزيران عام 1916. (Tibawi, 1969, P231)

وُعد "الشريف حسين" بدولةٍ تشمل الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق, وقد أسهمت الثورة العربية الكبرى في زعزعة الجبهة العثمانية–الألمانية في سوريا, ومع حلول أيلول من عام 1918 كانت طلائع الثوار قد وصلت إلى دمشق, ومع حلول أيلول من العام نفسه كان العثمانيون قد انسحبوا من بلاد الشام و العراق بعد أن احتل الحلفاء اسطنبول ومناطق من هضبة الأناضول, وباتت بلادهم في أمسّ الحاجة إلى نضالهم ضد الإحتلال الغربي. حينها ظنّ العرب أنهم قد حصلوا على دولتهم الموعودة, إلا أن تناقض المصالح البريطانية–الفرنسية مع طموحاتهم قد أحبط آمالهم وبدّد حلم دولتهم. (جمال واكيم, 2011, ص88)

سوريا و الإنتداب

عقب انتزاع السيطرة العثمانية على سوريا, سارع الأمير "فيصل" ابن "الشريف حسين" إلى فرض حكمه على دمشق, وطالب بمملكةٍ تضم بلاد الشام كاملةً, وتمكن في البداية من تحقيق معظم أهدافه وبسط سيطرته على بلاد الشام باستثناء فلسطين ولبنان, حيث وقف الفرنسيون بينه وبين بسط سيطرته على جبل لبنان وبيروت وطرابلس, بينما حال البريطانيون دون فرض سلطته على فلسطين؛ فانتهاء الحرب العالمية الأولى أغوى الفرنسيين المنتصرين في نيل حصّتهم من تركة الدولة العثمانية, ووفقاً لمعاهدة "سايكس–بيكو" الموقعة عام 1916 فقد شمل نفوذ فرنسا ما عُرف لاحقا "بلبنان الكبير" وسوريا وكليكيا (لواء الإسكندرونة) –والتي تخلوا عنها لاحقاً لمصطفى أتاتورك– والموصل في العراق. (Zeine Zeine, 1960)

رفضت فرنسا الإعتراف بحكومة "فيصل", وفي تموز عام 1920 اجتاح الفرنسيون دمشق وفرضوا الإنتداب على سوريا, وبدأوا بفرض تصوراتهم لخارطتها السياسية الجديدة, وقد اعتمدت سياستهم

في سوريا على تعزيز وضع المسيحيين كحلفاءٍ وشركاءٍ اقتصاديين في المنطقة, ولما كانت سوريا –حسب تصورهم– دولةً مشرذمةً طائفياً؛ فإنهم عملوا على مبدأ "فرّق تَسُد" وقسموا سوريا إلى عدة دويلات, فأنشأوا دولة جبل الدروز في منطقة جبل حوران, ودولةً علويةً على الساحل لمنع السنة من الوصول إلى البحر المتوسط, ودولتين سنيتين احداهما في دمشق و الأخرى في حلب (نصري الصايغ, 2011, ص121–120). وحاول الفرنسيون إثارة النعرات الطائفية؛ لتبرير وجودهم في سوريا, وانتدابهم عليها. (Michael Provience, 2005, P17)

وسعياً من فرنسا إلى بسط النفوذ على الاقتصاد السوري, وعزله عن الإقتصاد البريطاني, قامت فرنسا بربط الإقتصادين السوري واللبناني بالإقتصاد الفرنسي؛ مما أدى إلى أضرارٍ اقتصاديةٍ كبيرة شملت في الدرجة الأولى طبقة التجار الوسطى والحرفيين في دمشق وحلب. وأول ثورةٍ ضد الإنتداب الفرنسي كانت "ثورة إبراهيم هنانو" في حلب وريفها, والذي أعلن عن مقاومته للإحتلال الفرنسي منذ اللحظة الأولى, وقد دعمه الزعيم التركي آنذاك "مصطفى كمال أتاتورك" الذي كان يقاتل الحلفاء في تلك الفترة والذين احتلوا أجزاءاً واسعة من تركيا الحديثة حينها في نهاية الحرب العالمية الأولى. ومع حلول تشرين الأول من العام 1921 وقّع "أتاتورك" إتفاقاً مع الفرنسيين يقضي بإنسحاب الفرنسيين من لواء الإسكندرونة مقابل أن يسحب أتاتورك تأييده ودعمه "لهنانو" ويمنع وصول المؤن والذخائر إليه من الأراضي التركية, في اتفاقٍ عرف "باتفاق فرانكلين–بويون". وهكذا عُزلت حلب عن محيطها التاريخي في الإسكندرونة وجنوب تركيا, وهمّش خطّ التجارة المتجه من دمشق إليها في طريقه للأناضول, مما أضرّ بمصالح تجارها. وبعد رحيل "هنانو" هُمشَت حلب سياسياً, سواء كان ذلك إبان الإنتداب, أو بعد الأستقلال.

بات لدى الفرنسيين اعتقادٌ بأن التحدي الأكبر لهم نابعٌ من المدن, حيث توجد نخبٌ مثقفةٌ ومتعلمة وفقاً للطرق والقيم الحديثة, واعتقدوا أن الريف في المشرق ضامرٌ غير مهتمٍ بالقضايا السياسية, مما دفعهم إلى عزل المناطق الريفية عن المدن ظناً منهم أن إحكام سيطرتهم على الريف سيضيق من حصارهم على المدن؛ مما سيسهل سيطرتهم عليها وبالتالي السيطرة على سوريا. ولم يتخيلوا أن التحدى الأكبر لهم سيأتي من الريف, وهذا ما حدث في عام 1925 عندما أعلن "سلطان باشا الأطرش" ثورته على الإنتداب الفرنسي. (جمال واكيم, 2011, ص90–91)

تمكن "سلطان باشا الأطرش" الوجيه المحلي من قرية "القرية" في جبل حوران من إلحاق الهزائم المتراكمة بالجيش الفرنسي في عدة معارك صيف عام 1925, وبعد ذلك عمّت الثورة كافة أنحاء سوريا وأجزاءاً من لبنان, وأُعلن "سلطان باشا" قائداً عاماً لها. (نزار الربيعي, 2012, ص-116 115)

كان سبب إشتعال فتيل الثورة هو الترتيبات التي فرضها الإنتداب على سوريا, إذ أن فصل حوران عن دمشق أدى للإضرار بالشريان الإقتصادي الذي كان يربطهما, والذي كان عماده إنتاج القمح في حوران وبيعه في أسواق دمشق؛ حيث أن تجارة القمح كانت العصب الأساس لاقتصادي الشام وحوران, ولمصالح الوجهاء المحليين في حوران والتجار الدمشقيين. (جمال واكيم, 2011, ص91)

وأسهمت ثورة سلطان باشا في بلورة هويةٍ وطنيةٍ سوريةٍ منسجمة مع التيار القومي العربي (Michael Province, 2005, P21), وتلقت الدعم والتمويل من الأردن والتي كان يحكمها "الأمير عبد الله" شقيق "الملك فيصل" ونجل "الشريف حسين بن علي", والتي كانت آنذاك لا تزال تحت الإنتداب البريطاني(عفاف الخنسا, 2010, ص117). وشكّلت الأردن قاعدةً للتدخل البريطاني في سوريا والتأثير في سياستها, وذلك عبر دعم الدروز في جبل حوران والعشائر في محيط درعا, فقبل أيامٍ من إندلاع ثورة "سلطان باشا الأطرش" توجّه وفدٌ من عشائر درعا لدمشق للمطالبة بفصل منطقتهم عن سوريا وضمّها للأردن, وتبع ذلك إضرابٌ عام (جمال واكيم, 2011, ص93)؛ مما دفع رئيس الوزراء السوري المعيّن من سلطات الإنتداب آنذاك "علاء الدين الدروبي" والوزير "عبد الرحمن باشا" إلى التوجه لدرعا لحل المشكلة مع وجهاء العشائر هناك, وحينها وقعت اضطراباتٌ قتل على إثرها "الدروبي" و "عبد الرحمن باشا", وألقت فرنسا باللائمة على بريطانيا في تلك الأحداث. (عفاف الخنسا, 2010, ص109)

قمعت فرنسا الثورة بشدّة, وعقدت اتفاقاً مع بريطانيا يقضي بضغط الجانب البريطاني على "الأمير عبد الله" لقطع الدعم عن الثوار, والأهم أنهم تمكنوا من تحييد دمشق عبر إقامة تحالفٍ مع البرجوازية الشامية العليا(Michael Province, 2005, P13). وبعد عامين على اندلاع الثورة نجح الفرنسيون في دحر الثوار, أُجبر "سلطان باشا" وعائلته على الجلاء مع بعض أتباعه المخلصين إلى "وادي سرحان" شمال المملكة العربية السعودية لمدة عشرة أعوام. (جمال واكيم, 2011, ص93)

وأدت السياسة الفرنسية في فصل جبل حوران عن دمشق إلى تهميش جبل الدروز سياسياً باستثناء فتراتٍ متقطعة في الثلاثينيات من القرن العشرين, وتمكنت الطبقة البرجوازية العليا الدمشقية من إقامة تحالفٍ مع الإنتداب, يحفظ لها مصالحها الاقتصادية؛ فمع قطع خط التجارة بين دمشق وتركيا, فقد خط التجارة من دمشق إلى حلب أهميته؛ مما أفقد المدن السورية الشمالية قوتها الاقتصادية, وبالتالي ضعُف دورها السياسي. (نصري الصايغ, 2011, ص125)

وفي نفس السياق في لبنان, فقدت طرابلس دورها كمرفأٍ مؤدٍ للمدن السورية الشمالية؛ حيث أن بيروت قد باتت الميناء المفضّل لدى الفرنسيين في تجارتهم مع الشرق, على حساب مينائي صيدا وطرابلس؛ مما أدى لتهميش دورهما السياسي لمصلحة بيروت التي أضحت عاصمة لبنان الكبير.

طبقة التجار الوسطى في دمشق فقدت الكثير من امتيازاتها لمصلحة تصاعد نفوذ الطبقة البرجوازية العليا, والتي عقدت حلفاً اقتصادياً مع الطبقة المركنتيلية* البيروتية ذات الأغلبية المنحدرةِ من أصول دمشقية, واستفادت كلتا الطبقتان من هذه العلاقة عن طريق التجارة الآتية من فرنسا وأوروبا لبيروت, مروراً بدمشق ألى دول الخليج العربي التي بدأت حينها تشهد طفرةً نفطيةً كبيرة. وهذه النخبة الدمشقية كانت من فاوضت فرنسا على الاستقلال في حين فاوضتهم نظيرتها البيروتية على الغاية نفسها. (جمال واكيم, 2011, ص94)

وفي العام 1936 وقعت سوريا ولبنان اتفاقاً مع فرنسا بهدف الاستقلال, وأدى ذلك إلى انتخاب "هاشم الأتاسي" رئيساً لسوريا, وتم إعادة ضمّ الدولتين العلوية والدرزية إلى الدولتين السنيتين حلب ودمشق, فيما سيعرف لاحقا "بالجمهورية العربية السورية". في ذلك الوقت هُمّش الاستقلاليون الراديكاليون, وبلغت ذروة الأمر في حزيران عام 1940 عندما اغتيل الزعيم الدمشقي "عبد الرحمن الشهبندر" الذي اشتهر بمطالبه بالاستقلال التام لسوريا, وهو ما رفضه الإنتداب الفرنسي الذي أراد

***المركنتيلية:** الطبقة المركنتيلية Mercantilism أو «الإتجارية» وهي الطبقة التي تميل لممارسة مهنة التجارة بشكلٍ بحت دون ممارسة أي مهنةٍ أخرى.

بقاء سوريا تحت نفوذه حتى بعد الاستقلال. وتأجل استقلال لبنان و سوريا إلى عام 1943, وتم جلاء القوات الفرنسية بعدها بثلاث سنوات عام 1946, وتمت تلك العملية بضغطٍ بريطاني أدت لانتخاب "شكري القوتلي" كأول رئيسٍ للجمهورية العربية السورية بعد الاستقلال. (عفاف الخنسا, 2010, ص337-293)

الجمهورية المشرذمة بعد الاستقلال

خلال الإنتداب الفرنسي فُرض على سوريا مرحلةٌ جديدةٌ من تاريخها, فأقيمت فيها منطقةً كانت تاريخياً ساحة تجاذبٍ بين نطاقاتٍ جيو-سياسيةٍ ثلاثة, بلاد ما بين النهرين, والأناضول ومصر. كانت حلب على علاقةٍ تاريخيةٍ مع العراق عن طريق التجارة, وتعززت تلك العلاقة بعد إعلان "أتاتورك" دولة تركيا المعاصرة واتجاه أنظاره نحو أوروبا وانعزل عن المشرق مما قطع العلاقات التجارية بين الأناضول ودمشق, وأمات خط التجارة المار عبر حلب, وخصوصاً مع تحول تجارة الطبقة المركنتيلية الدمشقية لبيروت, وبالتالي توجهت حلب إلى نسج العلاقة وتقويتها مع العراق, وباتت حلب والمنطقة الشرقية من سوريا مدخلاً للنفوذ العراقي في الجمهورية العربية السورية.

ومن التحولات التي أتت في الحقبة وعند الاستقلال انفصال جزءٍ من علويي الإسكندرونة وشرق الأناضول عن العلويين في الجمهورية السورية, أما في الجنوب فكان لدروز جبل حوران وعشائر السهل علاقاتٌ قويةٌ مع الأردن نتيجة العلاقات الاقتصادية التاريخية التي كانت تجمعهم والمبنية على التجارة المارّة من الحجاز فالأردن فدمشق, والجدير بالملاحظة أن سهل حوران كان دائماً عرضةً للهجرات البدوية الآتية من الجزيرة العربية, وكان أبرزها الهجرة في بداية القرن التاسع عشر التي سجّلها التاريخ على أنها "غزوةٌ وهّابية" لسورية, وقد أبقى هؤلاء المهاجرون علاقاتهم العشائرية مع فروع قبائلهم في هضبة نجد. (جمال واكيم, 2011, ص95) ويرى الباحث أن تلك القبائل المهاجرة من الحجاز قد فتحت منفذاً للتدخل السعودي في سوريا, ونافست الدروز على النفوذ في جبل حوران.

بالنسبة للطبقة المركنتلية الدمشقية فبتحالفها مع الطبقة المركنتلية البيروتية, فما تضررت مصالح طبقة التجار الوسطى في دمشق؛ مما جعلها تعبر عن عدم رضاها لذلك بالإنخراط في أحزابٍ و تياراتٍ قوميةٍ عربية ذات توجهاتٍ راديكالية, و بالتالي أصبحت سوريا الواقعةُ بين النطاقات الجيو-

–سياسية الثلاث (تركيا, العراق, مصر), والمفتوحةُ من المنطقة الجنوبية–الشرقية على شبه الجزيرة العربية, ساحة صراعٍ بين هذه القوى الثلاث إضافةً للمملكة العربية السعودية, خصوصاً خلال العقدين الذين أعقبا استقلال سوريا (جمال واكيم, 2011, ص96), وكما قال "كارل كاوتسكي" بأن الاستعمار خلق دولاً في العالم الثالث بالمعنى القانوني, لكنه لم يخلق أمماً. (Bassam Tibi,1981,P.19)

كان خلق هويةٍ وطنية من أكبر التحديات التي واجهت سوريا, فقد كانت المناطق السورية المختلفة تتجه نحو النطاقات الجيو–سياسية المجاورة لها, وكان يجب عليهم خلق هويةٍ تجمعهم وتنسجم مع الواقع السياسي لبلدهم, وكانت الهوية القومية العربية جامعاً مشتركاً لجميع السوريين, وتجاوز العصبيات القبلية والعشائرية والمناطقية, وكانت هذه الهوية منسجمةً مع نزوع كل منطقةٍ من المناطق السورية إلى التفاعل مع جوارها الجيو–سياسي المباشر. ولهذا السبب كانت سوريا الدولة الوحيدة التي لم تتعارض هويتها الوطنية مع القومية العربية, ولهذا السبب أيضاً كانت القومية العربية هي الإطار الذي يحدد المصالح الوطنية السورية. وباتت القومية العربية عاملاً أساسياً لبقاء سوريا ككيانٍ سياسي, ما يجعلها رائدةً في دعم هذا المسعى الداعي لتحقيق الوحدة العربية, وكانت القومية كذلك السبب وراء عدم انسجامها مع حدودها الوطنية, مما دفعها إلى أداء دورٍ إقليميٍ يتجاوز حدودها. وكان من ضمن الدستور السوري نصٌ يقول إن أيّ حكومةٍ سوريةٍ تتخذ شرعيتها من سعيها إلى تحقيق الوحدة العربية. (Derek Hopwood, 1988, P.77)

الحزب السوري القومي الإجتماعي و حزب البعث

عمِد النظام القائم في عهد الإنتداب إلى تهميش قطاعاتٍ واسعةٍ من المجتمع السوري؛ مما أدى إلى نشوء أحزابٍ سياسية تتحدى الوضع القائم. وكان أبرز حزبين في سوريا آنذاك هما "الحزب السوري القومي الإجتماعي" و "حزب البعث العربي الاشتراكي". وكان "الحزب السوري القومي الإجتماعي" قد أسسه "أنطوان سعادة" في العام 1932 رداً على سلخ سلطتي الإنتداب البريطانية والفرنسية للبنان وفلسطين عن سوريا.

وعقب انسحاب الفرنسيين من لبنان وسورية عام 1947, كان "سعادة" قد قرر ضم العراق إلى الأمة السورية, وكسب هاشميو العراق بعض أعضاء "الحزب السوري القومي الإجتماعي" إلى صفهم, وذلك في إطار مسعاهم إلى حشد التأييد لمشروعهم الرامي لضم سوريا إلى التاج الهاشمي في العراق. ورغم استقطاب الحزب لشرائح واسعة من المجتمع السوري, إلا أن أيدولوجيته أكسبته الكثير

من الأعداء من الزعماء والأحزاب في سوريا ولبنان. ففي لبنان شكّل حزب الكتائب (النسخة اللبنانية للفاشية الإيطالية) الخصم الأبرز "للحزب السوري القومي الإجتماعي", أما في سورية فقد كان حزب البعث خصمه. (جمال واكيم, 2011, ص98-99)

وكان تأسيس حزب البعث على يد أستاذي اللغة الفرنسية المتأثرين بالمفاهيم الألمانية للقومية "ميشال عفلق" و "صلاح الدين البيطار". والذين انتمى كلاهما لعائلتين مصنفتين في طبقة التجار الدمشقية الوسطى, والتي تضررت مصالحها الاقتصادية نتيجة الإنتداب الفرنسي. وكان "عفلق" مسيحياً أرثوذوكسياً, فيما كان "البيطار" سنّياً, والتقيا بجامعة "السوربون Sorbonne" في باريس أثناء الدراسة, وتأثر كلاهما بالثقافة الفرنسية, وكانا يحلمان باستقلال سوريا كمقدمةٍ لتوحيد العرب في أمةٍ واحدة تستعيد أمجاد الماضي, وكذلك تأثرا بالمفاهيم القومية الألمانية والتي كانت قائمةً على اللغة الواحدة والتاريخ المشترك والثقافة المشتركة والمصير الواحد في تحديد الهوية القومية. وعند عودتهما إلى سوريا بدآ بتدريس اللغة الفرنسية في ثانويات دمشق مبشرين بأفكارهما ومبادئهما, وفي العام 1940 أسسا حزب البعث, رغم أن أستاذاً آخر من الإسكندرونة اعتبر صاحب هذه الفكرة وكان اسمه "زكي الأرسوزي". (طه العلواني, 2003)

كان الصراع بين "حزب البعث" و "الحزب السوري القومي الإجتماعي" جزءاً من الصراع الإقليمي الدائر بين مصر والعراق على النفوذ في سوريا والشرق الأوسط, وكان شكلاً من أشكال النزاع الذي ظل قائماً حتى العام 1956 بين بريطانيا التي كانت تريد الحفاظ على نفوذها في الشرق الأوسط من جهة, والولايات المتحدة التي كانت تسعى لكسب مصر والمملكة العربية السعودية إلى صفّها, لتكونا قاعدةً لسياستها في الشرق الأوسط. (جمال واكيم, 2011, ص101)

الإضطرابات السياسية بعد الإستقلال

في سوريا كان لبريطانيا نفوذٌ كبير, إذ إن قادة الكتلة الوطنية السورية كان أغلبهم معادين للفرنسيين, ويفضلون الإنجليز عليهم. إلا أن "شكري القوتلي" و "فارس الخوري" وغيرهم من القادة كانوا ينتمون إلى الطبقة البرجوازية الدمشقية التي أنشأت تحالفاتٍ مع طبقة التجار في بيروت, والتي كانت بدورها امتداداً للنفوذ الفرنسي في المنطقة. (عفاف الخنسا, 2010, ص322-350)

ومنذ بدء الطفرة النفطية في المملكة العربية السعودية في العام 1945 شرعت طبقة التجار الدمشقيين بتعميق علاقاتها التجارية وبالتالي السياسية مع المملكة السعودية, وفي العام 1949 تواجه مشروعان نفطيين في المنطقة, المشروع الأول برعاية بريطانيا وكان خط أنابيبٍ نفطية من الموصل عبر الأراضي السورية باتجاه البحر المتوسط. أما الثاني فكان مشروعاً ترعاه الولايات المتحدة ويأتي من شرق المملكة العربية السعودية, ومروراً بالأراضي الأردنية فالسورية, ثم يعبر الحدود للبنانية ليصب في مصفاة الزهراني جنوب لبنان. وكان الرئيس السوري "شكري القوتلي" يفضّل خط الأنابيب السعودي على العراقي لأسبابٍ سياسيةٍ واقتصادية, فمصالح الطبقة التي يمثلها كانت على ارتباطٍ اقتصاديٍ وثيق بالمملكة السعودية, وكان كذلك يخشى ضم العراق لسوريا؛ مما دفع البريطانيين والعراقيين لدعم الإنقلاب الذي قام به قائد الجيش السوري "حسني الزعيم" في الحادي عشر من نيسان عام 1949, والتي قام بانقلابه متذرعاً بنكبة عام 1948 في مواجهة إسرائيل. (جمال واكيم, 2011, ص110) و يرى الباحث أن كثيراً من القادة وخصوصاً في تلك الحقبة وما تلاها قد اتخذوا النكبة وأحداثها ذريعةً لنيل عواطف الجماهير , وإضفاء الشرعيةِ على حكمهم, وهذا ما قام به "الزعيم" حين حمّل الرئيس "شكري القوتلي" المسؤولية عن الهزيمة أمام الجيوش الإسرائيلية في النكبة.

بعد إستيلاء "الزعيم" على السلطة قام بتغيير اتجاهه, فرضخ للمغريات الأمريكية والسعودية والمصرية, وانقلب على البريطانيين وعلى زعيم الحزب السوري القومي الإجتماعي "أنطوان سعادة", والذي خاب ظنه بصدق نية "الزعيم" بالوحدة مع العراق ولبنان لإقامة "الأمّة" السورية التي لطالما حلم بها. وقام "الزعيم" بتسليم "سعادة" للحكومة اللبنانية التي سارعت إلى محاكمته وإعدامه تموز عام 1949.

دفع ما قام به "الزعيم" مع "سعادة" عدداً من ضبّاط الجيش السوري (والذي كان قسمٌ كبيرٌ منهم من أنصار سعادة والوحدة مع العراق) إلى الإنقلاب عليه, والقبض عليه وإعدامه, وكان قائد ذاك الإنقلاب "اللواء سامي الحناوي" الذي ينتمي لعائلةٍ حلبية, والذي لاقى دعماً بريطانياً وعراقياً. ولم يدم الإنقلاب أكثر من شهرين, إذ دعم الأمريكيون والسعوديون والمصريون إنقلاباً آخر بقيادة "أديب الشيشكلي" المنتمي لأسرةٍ دمشقيةٍ من أصول كردية, والذي استولى على السلطة لمدة أربعة أعوام. (جمال واكيم, 2011, ص111)

ويرى "جمال واكيم" أن تلك الأنقلابات قد عبّرت عن توزيع الولاءات والإنتماءات في سوريا وفقاً للمناطق, فقد كان "سامي الحلبي" يدين بالولاء للعراق بحكم أن شمال سوريا قد أصبح منطقة نفوذٍ عراقي (بعد انكفاء تركيا عن المشرق العربي). بينما لم يستطيع "حسني الزعيم" الذي استولى على السلطة بدعم بريطاني, أن يخرج عن التوجّه الدمشقي الذي كان يعدّ نفسه أقرب إلى مصر والسعودية منه إلى العراق. وكان الحال كذلك مع "أديب الشيشكلي" المنتمي إلى أسرةٍ دمشقيةٍ أيضاً. والجدير بالإشارة إلى أن الدور التركي في الشرق الأوسط قد أعيد تفعيله عقب انتخاب "جلال بيار" رئيساً للجمهورية التركية عام 1950, وانتخاب "عدنان مندريس" رئيساً للوزراء. فحتى العام 1950 كان "حزب الشعب الجمهوري" الذي أسسه "أتاتورك" هو الحزب الحاكم منذ تاسيس تركيا المعاصرة, والذي كانت سياسته ذات التوجه القومي تقوم على الإقتصاد الموجه من الدولة, وعلى الإنعزال عن المشرق ومحاولة الإتجاه لأوروبا. ولكن "الحزب الديمقراطي" برئاسة "بيار" و"مندريس" والذي تمكن من تحقيق فوزٍ كاسحٍ في أول انتخاباتٍ حرةٍ وديموقراطيةٍ في تركيا عام 1950 قد فعّل السياسة التركية في الشرق الأوسط, ونظر "بيار" و "مندريس" لسوريا نظرةً خاصّة لأنها كانت بالنسبة لهما بوابة تركيا للعالم العربي. (جمال واكيم, 2011, ص111-112)

الجمهورية العربية المتحدة

في القاهرة قاد "جمال عبد الناصر" إنقلاباً أطاح "بالملك فاروق" في الثالث والعشرين من تموز عام 1952. وسعى عبد الناصر للتخلص من الإحتلال البريطاني لقناة السويس, ولتحقيق هذا الهدف بادر باللعب على التناقضات بين البريطانيين والأمريكيين. وكان الأمريكيون يسعون للحلول محل البريطانيين في منطقة الشرق الأوسط, ولذلك كانوا على استعدادٍ لدعم توجهات ناصر الإستقلالية, وتكلّل نجاح السياسات التي اتبعها عبد الناصر باتفاقٍ مع البريطانيين يقضي بجلائهم أوائل عام 1956.

وظن الأمريكيون أن بدعمهم لعبد الناصر فإنه سيقبل إقامة سلامٍ مع إسرائيل وسينضم لحلف بغداد*, إلا أن آمالهم قد خابت. بل على العكس, فقد بدأ عبد الناصر توثيق علاقته مع الإتحاد السوفييتي, والتي توجت بصفقة السلاح التشيكية للجيش المصري. وفي تلك الفترة كان الجيش السوري

***حلف بغداد:** والذي كان الهدف منه محاصرة الإتحاد السوفييتي من الجنوب في حلفٍ عسكريٍ بين الناتو وعدة دولٍ في المنطقة.

مقسماً لألويةٍ يدين كلٌ منها بالولاء لأحد الأحزاب السياسية القائمة في سوريا, وقد أدى التقارب المصري–السوفييتي إلى دعم الشيوعيين في الجيش السوري للبعثيين والناصريين ضد السوريين القوميين الإجتماعيين, مما سهّل إطاحتهم من الجيش. (جمال واكيم, 2011, ص113–115)

وبعد أن أصبح لعبد الناصر اليد الطولى في سوريا, بقي يواجه تحدياً من الهاشميين في العراق والأتراك لبسط النفوذ عليها, في حين كانت المملكة العربية السعودية القلقة من النفوذ الهاشمي في العراق والأردن تدعمه في مسعاه لمنع الهاشميين من السيطرة على سوريا. (جمال واكيم, 2011, ص115)

في تلك الأثناء كانت بريطانيا قد انسحبت من منطقة قناة السويس في بدايات العام 1956, إلا أن شركة القناة بقيت تحت سيطرتهم وسيطرة الفرنسيين. فأممها عبد الناصر في تموز من العام نفسه رداً على سحب البنك الدولي للقرض الذي كان ينوي تقديمه لمصر لمساعدتها على بناء "السد العالي" في أسوان بضغوط بريطانيةٍ وأمريكية. اتخدت بريطانيا التأميم ذريعةً لشن العدوان على مصر في تشرين الثاني عام 1956, وإنضم إليها كلٌ من فرنسا وإسرائيل. وتمكنوا من احتلال جزءٍ من القناة لكنهم لم يستطيعوا إكمال هدفهم بالوصول إلى القاهرة والإطاحة بحكم "عبد الناصر", الذي استغل الخلاف الأمريكي–البريطاني خلال العدوان, واستغل الإنذار السوفييتي لفرنسا وبريطانيا, وكذلك دعم العالم العربي والعالم الثالث له, واستبسال المصريين في الدفاع عن أرضهم ومقاومتهم الشديدة للعدوان, ليحقق نصراً تاريخياً على قوتين استعماريتين وعلى إسرائيل. (Wikipedia,2013)

وجدت الولايات المتحدةُ والإتحاد السوفييتي نفسيهما بعد العدوان الثلاثي وجهاً لوجه في جبهةٍ جديدةٍ وهي الشرق الأوسط, وكانت الإستراتيجيةُ السوفييتية تستهدف القيام باتصالٍ مباشرٍ مع الجماهير العربية؛ طمعاً في مدّ نفوذها ومنافسة النفوذ الأمريكي في المنطقة, أما الولايات المتحدة فقد أخذت على عاتقها القيام بمبدأ "أيزونهاور*". (باتريك سيل, 1968, ص370–371)

***مبدأ أيزونهاور**: الذي ابتُكر للتصدي للتهديد السوفييتي على المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط خلال الفترة المضطربة التي تلت العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦, ويقضي المبدأ بأن على الولايات المتحدة ان تأخذ على عاتقها القيام بمسؤولياتٍ جديدةٍ في الشرق الأوسط؛ لمواجهة مدّ النفوذ السوفييتي. ((باتريك سيل, ١٩٦٨, ص٣٧٣–٣٧١)

جعل الإنتصار على العدوان الثلاثي "عبد الناصر" الزعيم الأبرز في العالم العربي منذ القرون الوسطى. ومنذ فجر التاريخ لم يكن بمقدور أي زعيمٍ مصري أن يعزز نفوذ بلاده الإقليمي من دون بسط سيطرته على سوريا كلياً أو جزئياً, فبدأ "عبد الناصر" يسعى لبسط تلك السيطرة. وفي الخمسينات كانت الطبقة التجارية الدمشقية قد وثقت علاقاتها الاقتصادية بالمملكة العربية السعودية والأمريكيين. وكان قد أعيد الرئيس "شكري القوتلي" إلى رئاسة الجمهورية عام 1954, وكان يتقارب مع الملك السعودي "سعود بن عبد العزيز". ومنذ عام 1956 بدأت الأسرة السعودية الحاكمة تخشى على نفسها من النفوذ المتصاعد لجمال عبد الناصر. (جمال واكيم, 2011, ص116-118)

وكان الضباط القوميون والشيوعيون في سوريا والذين يفتقرون للخبرة السياسية, يخشون التفاف الطبقة السياسية التقليدية (التي كانت تعبر في الدرجة الأولى عن مصالح طبقة التجار الدمشقيين) عليهم. ورداً على ذلك توجه وفدٌ عسكريٌ سوري إلى القاهرة في أوائل العام 1958 وألحَّ على "عبد الناصر" إقامة وحدةٍ مصريةٍ-سورية. ورغم تردد "جمال عبد الناصر" إلا أنه وافق في النهاية خوفاً من سقوط سوريا في يد خصومه العراقيين. ونتيجة تلك التطورات انقسمت النخب التجارية في دمشق, فكانت النخب التجارية الدمشقية العليا معارضةً للوحدة لكنها لم تكن قادرةً على عرقلتها, أما النخب التجارية الوسطى فوجدت أنها تستطيع تعزيز مصالحها؛ لأنها ستفتح لها الأسواق المصرية.

ولكن توقعات الطبقة التجارية الوسطى قد خابت من السياسات الإقتصادية التي اتبعها "عبد الناصر" في سوريا أو "الإقليم الشمالي" "للجمهورية العربية المتحدة"؛ فقد خيبته الطبقة البرجوازية المصرية بعدم مشاركتها بشكلٍ فاعل في خطته للتنمية الإقتصادية, لذلك تخلى عن مقاربته الاقتصادية الليبرالية أوائل عام 1958 واتبع سياسةً اقتصاديةً حمائيةً موجهةً من الدولة, وسبقتها سياسة الإصلاح الزراعي التي وزعت الأراضي على الفلاحين.

وبما أنه قد بات رئيساً لسوريا أيضا, فقد بدأ بتطبيق نفس السياسة التي اتبعها مع مصر, فقام بتأميماتٍ واسعة, وأعاد توزيع الأراضي على الفلاحين؛ مما أكسبه تأييداً كبيراً من الفلاحين في الريف والطبقة الوسطى في المدن. إلا أن تلك السياسة في الوقت نفسه أكسبته عداء طبقة التجار التي كانت تعدُّ نفسها شريكةً له في الوحدة القائمة بين مصر وسوريا, إضافةً إلى أن تجربة "عبد الناصر" مع الأحزاب المصرية قبل سنواتٍ قليلةٍ من الوحدة, جعلته يحظرها جميعاً في مصر. وكان شرطه للوحدة أن

تَحلّ كل الأحزاب السورية نفسها, ومن ضمنها تلك التي سعت للوحدة مع مصر, كحزب البعث العربي الإشتراكي. (جمال واكيم, 2011, ص118)

كان إمساك "عبد الناصر" بزمام الأمور في سوريا يجعله قادراً على حسم الأمور مع أخصامه الألدّاء, الهاشميين في العراق والبريطانيين. ففي لبنان صعّدت شخصياتٌ وأحزابٌ من مناصرتها "لعبد الناصر" وعارضت الرئيس "كميل شمعون" الموالي لبريطانيا والهاشميين العراقيين, وفي الأردن كان عرش "الملك حسين" مهدداً من التيار الموالي لعبد الناصر, وفي العراق بات الهاشميون يحسون بالعزلة. وفي تموز من عام 1958 وبعد أشهرٍ قليلةٍ على الوحدة المصرية–السورية أطاح إنقلابٌ قاده قوميون وشيوعيون في الجيش العراقي بهاشميي العراق ورئيس الوزراء العراقي آنذاك "نوري السعيد" الذي قتل هو والعاهل العراقي "فيصل الثاني" والوصي على العرش "عبد الإله", وأُقيم حكمٌ قوميٌ في العراق بدأ بالتقارب مع "عبد الناصر" والإتحاد السوفييتي, ويذكر أن الإنقلاب قد أسفر أيضاً عن تفكّك حلف بغداد وانهياره.

شكّل نجاح سياسات "عبد الناصر" فشلاً ذريعاً في السياسات التركية التي اتبعها الحزب الديموقراطي التركي, وفي عام 1960 أطاح انقلابٌ عسكريٌ "ببيار" و "مندريس", وتم فرض الإقامة الجبرية على الأول, وحكم الثاني بالإعدام مع اثنين من وزراءه.

ولكن سياسات "عبد الناصر" الراديكالية مضافً إليها عددٌ من الأخطاء التي ارتكبها مساعده "المشير عبد الحكيم عامر" في إدارة الأمور في سوريا, أكسبته عداء نخبٍ مؤثرةٍ خصوصاً الدمشقية منها, وفي 28 أيلول من عام 1961 أدى إنقلابٌ عسكريٌ في سوريا إلى الإطاحة بالوحدة السورية–المصرية, وإنهاء حكم "عبد الناصر" في سوريا الذي استمر لثلاث سنواتٍ ونصف تحت مسمى "الجمهورية العربية المتحدة".

كان الوجه الأبرز في الإنقلاب الضابط "عبد الكريم النجلاوي" إبن العائلة الدمشقية العريقة, والذي في بداية الوحدة العربية أيّدها, إلا أن سياسات "عبد الناصر" الاقتصادية والاجتماعية أفضت إلى إبعاد العائلات الدمشقية الثرية ومنها عائلة "النجلاوي" عنه. أما الوجه الثاني البارز في الإنقلاب فكان "حيدر الكزبري", المولود لعائلةٍ دمشقيةٍ ثرية, وكان من مؤيدي الوحدة

مع مصر, وعمل طوال أيامها مديراً لمكتب "عبد الحكيم عامر", إلا أنه كذلك ثار بسبب السياسات الاقتصادية والاجتماعية التي اتبعها "عبد الناصر" وكانت تدعم الأوضاع الاجمتاعية للطبقات الفقيرة على حساب الطبقات الثرية. (جمال واكيم, 2011, ص119–120)

أراد قادة الإنقلاب إعادة الأمور لما كانت عليه قبل الوحدة, واستعادة الأراضي والمؤسسات المؤممة, وتعويض الخسائر التي تكبدتها الطبقة البرجوازية السورية عموماً, والدمشقية خصوصاً, خلال الوحدة. مما أدى لتضرر مصالح الطبقات الوسطى والفقيرة في المدن, خصوصاً في مناطق الريف التي انضم أبناؤها بكثرةٍ للجيش منذ الثلاثينات, وقد هبّوا للدفاع عن مصالح أهلهم الاقتصادية. وأدى ذلك لإنقلابٍ على حكومة الإنفصال في الثامن من آذار عام 1963, والذي أوصل حزب البعث إلى السلطة في سوريا بزعامة "أمين الحافظ", والذي كان حلبياً وينتمي إلى عائلةٍ من الطبقة الوسطى. ورغم أنه كان من الوفد العسكري الذي توجه "لعبد الناصر" طالباً الوحدة عام 1958, إلا أنه كان من المتحفظين على سياساته الاقتصادية. (جمال واكيم, 2011, ص121)

حزب البعث والعلويين في السلطة

تولى "الحافظ" السلطة مستعيناً بقيادة حزب البعث "ميشال عفلق" و "صلاح الدين البيطار" و "أكرم الحوراني" الذين أيدوا الوحدة مع مصر في العام 1958 لكنهم انقلبوا عليها في العام 1961؛ فقد كانوا ينتمون إلى الطبقة التجارية المدينية الوسطى التي تضررت من السياسات الاقتصادية "لعبد الناصر". وأدى الإنقلاب لعملية تطهيرٍ جديدة لضباط الجيش, وشهدت صعود جيلٍ جديد من الضباط, كان أغلبهم من الضباط الجدد من أبناء الريف, وجميعهم ينتمون إلى أقلياتٍ علويةٍ وإسماعيليةٍ ودرزية, إضافةٍ إلى ضباطٍ سنة من الريف. ومع الوقت تمكن هؤلاء الضباط من الإمساك بالجيش, وكذلك بالقيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي, بينما كان الرعيل التقليدي في الحزب برئاسة "عفلق" و"البيطار" و"الحوراني" يسيطرون على قيادته القومية. (جمال واكيم, 2011, ص121)

كان السبب وراء تصاعد العلويين في الجيش هو السياسة الفرنسية القائمة على تشجيع انضمام أبناء الريف إلى الجيش الذي شُكّل خلال الإنتداب وإلى الإدارة وجهاز الدولة, وما قد يفسر نسبة تفوق العلويين على المسيحيين والدروز والإسماعيليين في الجيش, أن الدروز حاربوا الإنتداب

خلال الثورة السورية الكبرى بين عام 1925 و1927 وبات مشكوكاً في ولائهم له, أما المسيحيون فكانت لديهم فرصٌ اقتصاديةٌ أخرى تغنيهم عن الجيش, إذ إن معظمهم كان مرتبطاً بامتيازاتٍ تجاريةٍ واقتصاديةٍ مع حكومة الإنتداب. أما الإسماعيليين فقد كانت نسبتهم ضئيلةً جداً وقد شهد أبناء هذه الطائفة من الطبقة الوسطى ميلاً للتحول إلى المذهب السنّي؛ تمرداً على طبقة الآغوات الاسماعيليين التي كانت تمارس التمييز ضد الطبقات الأقل شأناً في الطائفة. ونظراً لكون العلويين أقل المحظوظين اقتصادياً فقد أضحى الجيش من الفرص القليلةِ لديهم للحصول على فرصة عملٍ في ظل ضآلة الفرص المتوفرة.

أدت زيادة الضبّاط العلويين في الجيش, وتناحر الضبّاط السنّة فيما بينهم, إلى إمساك العلويين بالسلطة مع حلول عام 1966, وما سهّل هذا الأمر سيطرتهم على وحداتٍ ضاربة في الجيش السوري. وكان تحالف ضبّاط الريف عماد الإنقلاب الذي وقع في شباط من العام 1966 والذي استند في الدرجة الأولى على ضباطٍ علويين ودروز في الجيش. وبعد أشهرٍ قليلة على ذاك الإنقلاب حاول ضابطٌ درزي يدعى "سليم حاطوم" الإنقلاب على رفاقه والاستئثار بالسلطة بدعمٍ من الأردنيين, إلا أن محاولته بائت بالفشل, وأدت إلى تسريح نحو 200 ضابطٍ درزي من الجيش ما عزّز قبضة الضباط العلويين على السلطة. برز الضابط "صلاح جديد" كرجل سوريا القوي, فيما تولى السلطة في الواجهة الرئيس "نور الدين الأتاسي", وكانت القيادة الجديدة متأثرةً إلى أبعد حدودها بخلفيتها الاجتماعية, فاتبعت سياسةً اقتصاديةً جذرية أعادت برجوازية المدن, لاسيما الدمشقية, واعتمدت نظاماً اقتصادياً موجّهاً يرعى مصالح الطبقات الفقيرة خصوصاً في الريف. وتحالف النظام الجديد مع السوفييت, فيما تواترت علاقته مع العديد الدول العربية. (Hanna Batatu, 1999, P.155-158)

النكسة

نجحت إسرائيل من إستدراج "جمال عبد الناصر" في الفخّ الذي نصبته له في حزيران من عام 1967؛ فقادته إلى حربٍ لم يكن مستعداً لها. وكانت إسرائيل قد صعّدت من تهديداتها لسوريا في أيار من العام نفسه, منذرةً إياها بحربٍ لأسقاط نظامها. أرسل "عبد الناصر" قواته لسيناء بعدما طلب سحب القوات الدولية من منطقة شرم الشيخ, وأدى تتابع الأحداث إلى هجوم إسرائيل في الخامس من حزيران هُزِم فيه "عبد الناصر" شرّ هزيمة, رغم أن الهدف الأمريكي بإسقاطه لم يتحقق. وكانت

مكافئة إسرائيل في تلك الحرب احتلال "الضفة الغربية" و"هضبة الجولان" السورية التي كانت ذي أهميةٍ استراتيجية لها للدفاع عن سهل "الحولة" في مواجهة أي هجومٍ سوريٍ مفاجئ يهدد أحد أهم مصادر المياه لديها. (جمال واكيم, 2011, ص124)

كانت مصر وسوريا أكثر دولتين متضررتين من الحرب, خصوصاً أنهما عُدّتا المسؤولتين عن الهزيمة, وخسرتا أجزاءاً واسعةً من أراضيهما. وكان على العرب أن يتأقلموا مع واقعٍ جديد, فلم يكن في الإمكان إزالة إسرائيل من الوجود (على الأقل في المدى المنظور) وبالتالي كان عليهم أن يتعاملوا مع الأمر الواقع (Derek Hopwood, 1988, P.51). ولذلك ارتضى العرب (ما عدا قلةٌ منهم على رأسهم سوريا) القرار 242 الصادر عن مجلس الأمن الدولي والداعي إلى انسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها في العام 1967 مقابل اعتراف العرب بها. وأدت الهزيمة إلى بروز توجهين في سوريا, الأول بقيادة "صلاح جديد" الذي رأى بأن هزيمة 1967 كانت نتيجة مؤامراتٍ من الإمبريالية العالمية والدول العربية التقليدية والبرجوازية السورية, وكان يرى أن حرباً يجب أن تشنّ على هذه الأطراف جميعاً مع ضرورة التحالف مع الإتحاد السوفييتي وكتلة الدول الإشتراكية, وقطع العلاقات مع الولايات المتحدة والغرب والدول العربية التقليدية (Van Dam Nicolas, 1979, P.84).

أما الإتجاه الثاني وكان بقيادة وزير الدفاع "حافظ الأسد" الذي كان أكثر اعتدالاً, إذ كان يحمّل الراديكاليين في سوريا مسؤولية الهزيمة؛ نتيجة السياسة الخارجية السيئة التي اتبعوها, وخسروا بموجبها علاقاتهم مع معظم الدول العربية والعالم الغربي, إضافةً إلى موقفهم السلبي من البرجوازية السورية وعلى رأسها طبقة التجار الدمشقيين. وكان يرى أن من الواجب إعادة اللحمة الوطنية بين مختلف الفئات الإجتماعية السورية, ومعاودة تفعيل علاقات سوريا مع الدول العربية كافة, وفي الوقت نفسه الإنفتاح على المجتمع الدولي وتنشيط الدبلوماسية السورية.(محمد دياب, 1992, ص86-87)

بالنسبة للقضية الفلسطينية, فقد أدت الحرب إلى تطور الحال الوطنية الفلسطينية في ظلّ "منظمة التحرير الفلسطينية", والتي شهدت نمو نفوذ الحركات المسلحة فيها, وخصوصاً حركة "فتح" بزعامة "ياسر عرفات" على حساب القيادات المدنية. ونتيجة خيبتها من الأنظمة العربية, باتت "منظمة التحرير" تسعى إلى تمثيلٍ حصري للشعب الفلسطيني, وأصبحت حساسةً جداً تجاه أيّ

تدخلٍ عربيٍ في القضية الفلسطينية. وسيكون هذا أساس الصدامات السياسية والعسكرية التي ستقع بين الفلسطينيين وعددٍ من الدول العربية من بينها سوريا, فقد كانت سوريا ترى أن القضية الفلسطينية جزءٌ لا يتجزأ من الأمن القومي السوري, وكانت تنظر بعين الريبة إلى النيات التي يحملها "ياسر عرفات" تجاه قبول أي حلٍّ يعرضه عليه الإسرائيليون, وقد أضحى زعيماً "لمنظمة التحرير الفلسطينية" بمباركةٍ سعوديةٍ ومصرية, مما زاد الشكوك السورية تجاهه. (Henry Laurens, 1998, P.941-945)

حافظ الأسد على رأس السلطة

منذ توليه منصب وزير الدفاع عام 1966, سعى "حافظ الأسد" إلى بسط سيطرته على الجيش السوري عن طريق تعيين الموالين له في مواقع حساسة, ومنهم أخوه "رفعت الأسد"؛ فقد دارت خلافاتٌ بينه وبين خصمه "صلاح جديد", ووصلت إلى أبعد مستوى. وعندما أراد حزب البعث الحاكم في سوريا في السادس عشر من نوفمبر عام 1970 الإطاحة بحافظ, رد هو بإنقلابٍ عسكري أسماه: "الحركة التصحيحية", وسيطر على السلطة, ووضع خصميه "صلاح جديد" ورئيس الجمهورية "نور الدين الأتاسي" في المعتقل.

خسِر التيار الجديد الذي يقوده "الأسد" دعم الطبقة البرجوازية الدمشقية الضرورية لاستقرار أي نظامٍ في سوريا, إضافةً إلى بُعد هذا التيار عن القوى الإقليمية النافذة في الشرق الأوسط (مصر والعراق والمملكة العربية السعودية), فبدأ "حافظ الأسد" بمراعاة المصالح الاقتصادية للطبقة البرجوازية الدمشقية؛ والتي قد تهشّمت وتضررت بسبب سياسات "صلاح جديد" الاقتصادية والاجتماعية, وهكذا حاز الأسد على ولاء العاصمة دمشق, فضمن استقرار النظام بعد ضمان الرضى من تلك الطبقة.

ومع مرور سبع سنواتٍ على صعود حزب البعث إلى رأس السلطة في سوريا, سعى الأسد لإضفاء سمة الحداثة على نظامه, فأعاد تشكيل البرلمان -رغم أنه لم يمتلك أيّ سلطةٍ فعليةٍ مستقلةٍ عن سلطات رئيس الدولة- وحاول إعطاء شكلٍ تعدديٍ للنظام بتشكيل "الجبهة الوطنية التقدمية" التي ضمّت عدداً من الأحزاب السوريةِ إضافةً إلى حزب البعث, لكنها كانت أيضاً بلا سلطةٍ سياسيةٍ تُذكر, وأُصدِرَ دستورٌ جديدٌ لسوريا وجد معارضاتٍ من الطبقة الوسطى والنخب المدنية والدينية, خصوصاً رجال الدين السنّة. (جمال واكيم, 2011, ص127-128)

ونظراً لتعدد الأبعاد الجيوسياسية لسوريا وتنوعها, فقد كان على أي نظامٍ إقامةُ توازنٍ دقيق بين هذه التنوعات الجيوسياسية و الديموغرافية؛ كي يضمن إستقراره. وحكم الأسد الذي استمرّ قدراً طويلاً من الزمن (نسبياً) كان نابعاً من القدرة التي أبداها في إدارة تلك التوازنات بطريقةٍ فعّالةٍ لم يتقنها أحدٌ مثلما فعل. (جمال واكيم, 2011, ص129)

إقليمياً, نجح الأسد في إعادة العلاقات مع مصر والمملكة العربية السعودية بعد أن كانت متأزمةً في الستينات؛ وذلك تجهيزاً لشنّ حرب تحريريةٍ لاستعادة هضبة الجولان وغيرها من الأراضي المحتلة عام 1967, وسعياً لإيجاد حلٍّ عادلٍ للقضية الفلسطينية (Raymond Hinnebusch, 1996). حيث شكّلت إسرائيل منافساً للأسد على سوريا الطبيعية وتهديداً حقيقياً للأمن القومي للجمهورية العربية السورية.

وعيَ "الأسد" حقيقة وجود قوىً دوليةً واقليميةً تدعم الانقلابات التي حصلت في سوريا خليل العقدين السابقين, فسعى لتأمين استقرار نظامه عبر منع التدخلات الاقليمية والدولية في السياسة الداخلية السورية؛ مما جعل سوريا قوةً اقليميةً فاعلة في الشرق الأوسط للمرة الأولى في تاريخها الحديث (Volker Perthes, 1995, P.4). وفي دستور عام 1973 أُعطِيَ الرئيس سلطاتٍ شبه مطلقة, وكان الجيش عِماد النظام رغم أنه قد ظلّ محكوماً بأجهزة الاستخبارات حتى قبل سيطرة الأسد, ولم يتوقف الأسدُ عند ذلك بل أعطيت صلاحياتٌ أكبر لجهاز "المخابرات الجوية" و "المخابرات العسكرية" كما أسس تشكيلاتٍ عسكريةٍ وأمنية "كسرايا الدفاع" –التي رأسها أخوه "رفعت الأسد" و "الحرس الجمهوري" و "القوات الخاصة" وغيرها. (جمال واكيم, 2011, ص130)

وكان اعتماد الأسد على الضباط العلويين بشكلٍ كبير في الجيش والمخابرات ليشكلوا نواةً صلبةً للنظام, ولم يغلب ذلك على طبيعة النظام, والذي اعتمد على أبناء الريف والفقراء أكثر من أبناء المدن, وليس بين العلويين والسنة (Alasaoair Drysdale, 1981, P.8 & 13), ورغم ذلك فقد وجهت اتهاماتٌ كثيرةٌ للنظام بأن سمته الرئيسية هي التمييز بين العلويين والسنّة, وتم واستغلت المعارضة ذلك في النزاع المسلح الداخلي الأخير في سوريا (2011– الآن) لتكون احدى الأوراق ضد النظام لقلب الرأي العام عليه.

***يوم الغفران (يوم كيبور)**: هو يوم مقدّس لدى الديانة اليهودية, حيث يحظر على اليهود القيام بالعديد من الأعمال والممارسات؛ فكانت فرصةً ذهبيةً للجيشان المصري والسوري.

حرب 1973

في العاشر من أكتوبر عام 1973, والذي صادف "يوم الغفران (يوم كيبور*)" لدى الديانة اليهودية؛ مما جعلها فرصةً ذهبيةً لشنِّ حربٍ واستعادة ما تم احتلالهُ من أراضٍ عام 1967.

ورغم تخلّف سوريا عسكرياً إذا ما قورنت أسلحتها بالأسلحة الإسرائيلية, إلا أنهم والمصريون تجرأوا بشنّ تلك الحرب على إسرائيل, وبعد مرور يومين على بدء الهجوم, استطاع الجيش المصري أن يقيم خطاً دفاعياً بعمقٍ يتراوح من 10 إلى 15 كيلومتراً على الضفة الشرقيةِ لقناة السويس (حيث احتلت إسرائيل عام 1967 قطاع غزة الذي كان تحت الإدارة المصرية وشبه جزيرة سيناء كاملة حتى الضفة الشرقيةِ لقناة السويس), أما الجيش السوري فقد حرّر هضبة الجولان ووصل تقدم القوات السوريةِ إلى ضفاف بحيرة طبرية. ولبعد القوات المصريةِ جغرافياً عن الأراضي الإسرائيلية (جمال واكيم, 2011, ص132) (المقصود بها أراضي الفلسطينية المحتلة عام 1948) فقد كرّست إسرائيل معظم قواتها لمواجهة سوريا التي شكلت خطراً إستراتيجياً أكبر على العمق الإسرائيلي.

لم يمرّ إلا أسبوعٌ واحدٌ حتى كان أمل السوريين بتحرير هضبة الجولان قد تلاشى, فالقوات المصريةُ كانت قد أوقفت هجومها عند الخط الدفاعي التي أنشأته شرق القناة؛ مما جعل السوريين يتحملون عبء الهجمة وحدهم, وبدأ تراجع الجيش السوري وباتت العاصمةُ دمشق تحت التهديد الإسرائيلي المباشر بعد أن وصلت دباباتهم إلى مشارفها (باتريك سيل, 2007, ص319). استنجد الأسد بالسادات, ورغم المخاطرةِ الكبيرةِ فقد قام السادات بهجمةٍ في عمقِ سيناء هدفها تخفيف الضغط الإسرائيلي على الجبهة السورية, ولكن ما إن أجهضت النجاحات العسكريةِ السورية حتى بدأ الإسرائيليون هجمتهم على الجبهة المصرية, حيث استغلوا تقدم القوات المصريةِ في سيناء ليحدثوا ثغرةً في الجيش المصري (ثغرة الدفرسوار), مما أدى إلى تطويقه وإحداث خطرٍ على النجاحات العسكريةِ المصريةِ بل وإضمارها أيضاً.

وعندما كانت تعيش سوريا نكسةً أخرى بعدما تجاوزت إسرائيلُ الحدود التي احتلتها عام 1967 بينما اكتفى الرئيس المصري "أنور السادات" بخطٍ دفاعيٍ بعمق 15 كيلومتراً شرق قناة السويس؛ لتكون ورقته الرابحة خلال مفاوضات السلام القادمة مع إسرائيل, وفي العام 1978 تم توقيع

اتفاق "كامب ديفيد" بين مصر وإسرائيل لتخرج مصر من هذا الصراع إلى يومنا هذا.

مباشرةً بعد "كامب ديفيد" شكّلت سوريا جبهة دولٍ معارضةٍ للسلام المصري–الإسرائيلي؛ حيث أن غياب مصر عن الصراع شكّل فراغاً سياسياً وعسكرياً واستراتيجياً جسيماً, وكان تخوف الأسد الأكبر من أن تنجرّ الأردن ولبنان أو حتى منظمة التحرير الفلسطينية خلف مصر في توقيع اتفاقيات سلامٍ مع إسرائيل (Drysdale & Hinnebush,1991, P.74), وهنا بدأت سوريا تزيد من تحصين جيشها وتزويده بأكبر قدرٍ متوفرٍ من العتاد والسلاح المتطور لمواجهة الجيش الإسرائيلي في حال إندلاع حرب, وعقد الأسد آماله على الإتحاد السوفييتي في مساعدته على إحداث التوازن العسكري مع إسرائيل. (جعفر محمد, 1987, ص66)

سوريا في لبنان

في نيسان عام 1975 اندلعت نيران الحرب الأهلية اللبنانية الشرسة, والتي رأى الأسد أنها زعزعةٌ لاستقرار سوريا, واختراقٌ إسرائيليٌ للجبهة الشرقية التي كانت تنوي سوريا إقامتها لمواجهة إسرائيل, خصوصاً بعد اتفاق سيناء الثاني بين مصر وإسرائيل والداعي لفصل قواتهما. وكان الأسدُ يعي تماماً أن أياً من الأطراف المتحاربةِ لا يدين له بالولاء, فكانت منظمة التحرير الفلسطينية وقائدها ياسر عرفات يدينان بالولاء لمصر, كذلك كان حال الحركة الوطنية اللبنانية وقائدها "كمال جنبلاط". أما أحزاب الجبهة اللبنانية فكانت تدين بالولاء للأمريكيين, وقد بدأت بنسج علاقاتٍ مع إسرائيل بذريعة أنها كانت مهددةً بالفناء, وبالتالي عليها قبول الدعم من أية جهةٍ كانت. (جمال واكيم, 2011, ص136)

عندما بدأ الأسد بدعم جنبلاط وحركته وجدها تدين بالولاء لمصر بشكلٍ كبير, فنأى عنها وباشر تدخله بالحرب عبر إرسال وحداتٍ من تنظيم الصاعقة وجيش التحرير الفلسطيني للقتال إلى جانب الحركة الوطنية. وكان الدخول الفعلي للقوات السورية لاحقا بموافقةٍ أمريكية عند نقطةِ تقاطعٍ بدأ معها ولوقتٍ قصير إمكان إحراز تقدمٍ على المسار السوري في عملية السلام التي كانت جاريةً آنذاك. (Hanna Batatu, 1999, P. 294–295)

خشي الأسدُ كثيراً من تأثر سوريا بالاقتتال الطائفي في لبنان تماماً كما حدث سابقاً في العام 1860 (حيث انتقلت صداماتٌ طائفيةٌ في لبنان آنذاك إلى دمشق), وقلق من تحالف اللبنانيين مع

إسرائيل بحجة حماية المسيحيين, كذلك قلق من تطور علاقة منظمة التحرير الفلسطينية بالعراق ومصر؛ حيث اعتبر الأسد منظمة التحرير احدى مفاتيح التدخل في الأردن على اعتبار أن معظم سكان الأردن من أصول فلسطينية. فسعى الأسد إلى اللعب على التناقضات بين الأطراف اللبنانية التي لم يكن أحدٌ منها يدينُ بالولاء له. (جمال واكيم, 2011, ص137)

مع حلول عام 1978 بدأ الوضع الإقليمي لسوريا بالتراجع, فبدأت مفاوضاتٌ ثنائيةٌ بين مصر واسرائيل؛ مما وجه ضربةً قويةً لسوريا (Assad Abu Khalil,1994,P.84). ولما أرادت أمريكا على أن تجري المفاوضات دون تعكيرٍ من سوريا, دفعت حلفائها اللبنانيين للإنقلاب على السوريين, مما أدى لنشوبِ ما عُرف "بحرب المئة يوم" بين سوريا والجبهة اللبنانية (Elie Chalala, 1985, P.70). ومع منظمة التحرير خشي الأسد من برود علاقته مع منظمة التحرير ورفض المنظمة قطع علاقتها بمصر أن يُدخل المنظمة في مفاوضات السلام مع مصر, وأن تقبل المنظمة بالحكم الذاتي المعروض عليها من إسرائيل, مما يوجه ضربةً قويةً لسوريا خصوصاً أنه يعطي الشرعيةَ للمفاوضات المصرية–الإسرائيلية. ويُذكر أن إسرائيل قد استغلت تلك الأحداث لاجتياح جنوب لبنان في آذار من العام نفسه وإقامةِ حزامٍ أمنيٍ بعمق 10 كيلومتراتٍ داخل الأراضي اللبنانية. (جمال واكيم, 2011, ص138)

وجدت سوريا في العام 1981 فرصةً ذهبية لكسب مزيدٍ من الدعم من الإتحاد السوفييتي, فالرئيس الأمريكي المنتخب حديثاً "رونالد ريغان" صعّد المواجهةَ مع الإتحاد السوفييتي وأعاد سباق التسلّح للمنطقة, لكن إنشغال السوفييت بأزمتي أفغانستان وبولندا حينها جعلهم يفكروا ملياً بأي سياسةٍ ديناميةٍ في الشرق الأوسط قبل اتباعها, فخاب ظنّ الأسد. (جمال واكيم, 2011, ص139)

اجتاحت اسرائيل لبنان في السادس من حزيران عام 1982, وكانت المواقع العسكريةُ السوريةُ في لبنان عرضةً للهجوم, وتكبدّت سوريا خسائراً عسكريةً فادحة, أدت إلى انسحاب معظم قواتها من المعركة ما عدا اللواء الـ85 الذي بقي يقاتل في بيروت إلى جانب الفلسطينيين والقوات اللبنانية المشتركة (باتريك سيل, 2007, ص599). وتتابعت الأحداث بعدها, فاغتيل في العام نفسه "بشير الجميل" الرئيس اللبناني, وأُجبرت منظمة التحرير الفلسطينية على الإنسحاب من بيروت, وباتت سوريا

بعدها في موقفٍ ضعيف, وحاول الأسد مفاوضت الولايات المتحدة على الإنسحاب السوري من لبنان مقابل إنسحابٍ إسرائيلي, إلا أن الإدارة الأمريكية رفضت ذلك. (جمال واكيم, 2011, ص140-141)

الحركات الإسلامية في سوريا

بينما كان الأسد يواجه الإحباط في صراعه الطويل مع إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية, انفجرت قاعدته الوطنية في وجهه في ذلك الوقت بالذات, فمن الضربات التي أصابته من المعاهدة المصرية-الإسرائيلية, وإبعاد مصر عن الحرب, جائت حملةُ عملياتٍ عسكريةٍ داخليةٍ ضد نظامه, (باتريك سيل, 2007, ص513) وأدى دعم المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة للإخوان المسلمين في سوريا مطلع الثمانينات بإثارة الإضطرابات والقلاقل, كان الإخوان قد بدأوا بشنّ عملياتٍ عسكريةٍ ضد النظام في تلك الفترة, حيث عارضت الأسد بشكلٍ كبير. أراد الأسد تحييد دمشق, فاسترضى البرجوازية الدمشقية عبر رفع حصتها من الإستيراد من نحو مليار ليرة سورية عام 1975 إلى حوالي 4.17 مليار ليرة سورية عام 1980؛ مما أضعف الدعم الذي يتلقاه الإخوان المسلمون من التجار الدمشقيين, وحال دون مشاركة دمشق في تمرد مدن شمال سورية عام 1982. (جمال واكيم, 2011, ص135)

لم تكن جماعة الإخوان المسلمين هي الجماعةُ الإسلاميةُ الأولى أو الوحيدة في سوريا, فقد سبق ظهورها في سوريا وجود ستّ جمعياتٍ إسلاميةٍ ستّ محافظاتٍ سورية في ثلاثينات وأربعينات القرن الماضي, وكان تأسيس جماعة الإخوان المسلمين في سوريا عام 1945. (عدنان سعد الدين, 2006, ص55)

وما يفسر تنامي قوةِ الإخوان المسلمين في فترة السبعينات هو في الدرجةِ الأولى تضخم الاقتصاد السوري, وتأثيره بشكلٍ كبيرٍ على الطبقة الوسطى في المدن, فتنامت شعبيةُ الإخوان المسلمين بين أفراد الطبقة الوسطى المدينية في السبعينات بسبب وضعها الاقتصادي الذي كان في تراجع -بعكس أهل الريف الذين يتكون منهم معظم أفراد نظام الرئيس الأسد ومناصريه-, ولما كان لأهل الريف عصبيتهم العشائرية والقبلية, فلم تكن هناك عصبيةٌ يجتمع حولها أبناء الطبقة الوسطى من المدينة, فوجدوا تنظيم الإخوان المسلمين جامعاً وموحداً لهم. وبالنسبة للطبقة البرجوازية, فكان حال البرجوازية الدمشقية التي استفادت من نظام الأسد أفضل حالاً من برجوازية المدن الشمالية التي

تضررت مصالحها, فأيدت الشماليةُ منها الإخوان المسلمين, وهذا يفسر مشاركتها في التمرد على الأسد خلال تمرد مدن شمال سوريا, بينما بقيت الدمشقيةُ مواليةً له. (جمال واكيم, 2011, ص136) ويرى الباحث أن تردي الوضع الاقتصادي لمدن شمال سوريا لم يكن من الأسد, بل كان تحصيل حاصلٍ منذ انتهاء الحقبة العثمانية وبداية عهد الإنتداب الفرنسي, واستمر حتى يومنا هذا.

حصلت العديد من الحوادث من نوع "اضرب واهرب" اتهمت بها حركة الإخوان المسلمين آنذاك, والتي هزّت حياة المدن السورية بعنف, كان من أبرزها مذبحة "مدرسة المدفعية بحلب" في 16 حزيران عام 1979, حيث ذكرت التقارير الرسمية مقتل 32 شاباً –كانوا من أبناء الطائفة العلوية– إصابة 54 آخرين. وكانت هناك انفجاراتٌ عشوائيةٌ واغتيالاتٌ استهدفت ضباطاً عسكريين وموظفين حكوميين بارزين ومهنيين وأطباء ومدرسين وغيرهم حيّرت الرأي العام السوري لعدم التأكد من هوية الفاعلين, ورغم أن العديد منهم لم يكن ضالعاً مع النظام, إلا أن استهداف العلويين كان واضحاً, وكان من الواضح أن القائم بهذه التفجيرات والاغتيالات كان يقصد عمداً زيادة حدّة الإقتتال الطائفي في سوريا. (باتريك سيل, 2007, ص514)

في مؤتمر حزب البعث القطري المعقود في الأيام الأولى من عام 1980 تولى "رفعت الأسد" شقيق حافظ الأسد الأصغر الدعوة إلى شنّ حربٍ على ما سماه الإرهاب, وإن الحكومة بدأت تفقد السيطرة على زمام الأمور, وأن الجهاز البيروقراطي فاسد, وأن الحزب تمزقه انشقاقاتٌ عقائديةٌ عميقة, وأن المواطنين لم يظهروا شعوراً بالمسؤولية, وأن المطلوب منهم هو الولاء المطلق, ومن لم يكن مواليا للنظامً والحكومةِ فيجب اعتباره من الآن وصاعداً معادياً لها, وأنه يجب الدفاع عن الدولة البعثية –كما وصفها– بالدم إذا ادّعت الضرورة. (باتريك سيل, 2007, ص529) ويرى الباحث أن هذا الخطاب قد زاد الاحتقان والتعصّب الطائفي في سوريا, وربما كان الإعلان الرسمي الأول من نوعه عن ارتكاز الحكم في سوريا على أبناء الطائفة البعثية. وفوّض الحزب رفعت الأسد –بناءاً على طلبه– مهمة محاربة المتمردين, وبدأت "سرايا الدفاع" المنطويةِ تحت لواءه مع باقي قوات الأمن بشنّ هجماتٍ مختلفةٍ على معاقل الإسلاميين في الأقاليم الشمالية لسوريا.

في الساعة الثانية بعد منتصف ليلة 3–2 فبراير سنة 1982 كانت وحدةٌ من الجيش السوري تقوم بتمشيط شوارع البلدةِ القديمةِ من مدينة حماة –التي كانت علاقتها في غاية التوتر مع الحكومةِ

في تلك الفترة–, فوقعت في كمينٍ قتل فيه قناصون ما يقارب الـ20 جندياً؛ بعد أن عثروا على مقر القائد المحلي للمقاتلين "عمر جواد" والمعروف "بأبو بكر" والموجود وسط أحد الأحياء المكتظّة بالسكان. هرعت قوات الحكومة إلى الموقع على الفور وقامت بتطويق المقر, وأعطى أبو بكر الأمر بالقيام بانتفاضةٍ عامّة. بحلول صباح الثالث من شباط تمكن الإسلاميون من السيطرةِ على المدينة التي ضاقت ذرعاً كباقي مدن سوريا من إهمال النظام وتردّي الوضع الاقتصادي, وقتلوا العديد ممن كانوا موالين للنظام في المدينة.

استمرت معركةُ حماة ثلاثة أسابيع, كان أسبوعٌ منها للسيطرةِ على المدينة, وأسبوعان لملاحقة الإسلاميين, وأرسِلت قواتٌ محمولةٌ بالطائرات المروحيةِ لمساعدةِ الحاميةِ المحليةِ على إغلاق مداخل المدينةِ قبل الإنقضاض القاتل عليها, وبلغ مجموع القوات المطّوقةِ للمدينةِ حوالي 12,000 ألف رجل. وتم قصف المدينةِ بالمدفعية وتدميرها بشكلٍ كبير, (باتريك سيل, 2007, ص538–540) وكانت هذه المعركةُ أشبه بحربٍ أهلية, كان نزاعً مسلحاً داخلياً تماماً كالذي يحدث هذه الأيام, وكأن التاريخ يعيدُ نفسهُ من جديد في العام 2011. ولا توجدُ إحصائياتٌ محددةٌ بعدد الضحايا والذي كان أغلبهم من المدنيين, لكن أرقاماً عديدةً ذُكِرت في سجلاتٍ مختلفةٍ تراوحت بين 10 آلاف و70 ألفاً.

سوريا والنظام العالمي الجديد

مع انهيار كتلة الدول الاشتراكية والإتحاد السوفييتي في العام 1991, تحوّل النظام العالمي من نظامٍ ثنائي القطبية, إلى نظامٍ ذو قطبٍ واحد وهو الولايات المتحدة الأمريكية, ونتيجةً لضعف روسيا الإتحاديةِ سياسياً واقتصادياً, لم يكن بمقدورها القيام بأيّ تحركٍ فيما يخصّ الشرق الأوسط, وكانت سوريا البلد الأكثر تضرراً من هذا الوضع.

أدرك الأسدُ العُزلة التي أقبل عليها بعد نهاية الحرب الباردة, وبات مقتنعاً أن الأمريكيين سيسيطرون على الساحةِ الدوليةِ للعشر سنين المقبلة؛ فسعى لتحسين علاقته بهم, وانضم إلى التحالف الدولي لتحرير الكويت في مواجهةِ صدام حسين في العام 1991. وأرادت سوريا بذلك أن يسهم موقفها في تثبتها شريكاً للولايات المتحدةِ الأمريكيةِ وشطبها عن قائمة أمريكا السوداء, مما يمكنها من الحصول على مساعداتٍ اقتصادية, ويسهّل نقل التكنولوجيا الأمريكية إلها. وقد حصلت سوريا فعلاً على ملياري دولار من المملكة العربية السعودية, وأقامت نوعاً من التحالف مع مصر ودول الخليج

(ما عرف بإعلان دمشق). (جمال واكيم, 2011, ص146)

استفادت الولاياتُ المتحدة أكثر من أيّ بلدٍ آخر من تدمير قوة العراق, فضمنت هيمنتها على منطقةِ الخليج العربي دون منازع, وأزالت قوةً تمثل تهديداً لأمن إسرائيل, وأخّرت إمكانية تحوّل الإتحاد الأوروبي واليابان لقوتين عظمتين تنافسانها على الصعيد الدولي (محمد اسماعيل, 1994, ص27). وكان لتمدير قوةِ العراق العسكرية تداعياتٌ سلبيةٌ على العرب, خصوصاً سوريا التي فقدت عمقها الاستراتيجي تماماً بعد أن تحوّل توازن القوى العسكريةِ لصالح إسرائيل. (Ma'oz Moshe, 1992, P.11)

بشار حافظ الأسد

في العاشر من حزيران سنة 2000, توفي حافظ الأسد بعد صراعٍ طويلٍ مع المرض, وسلّم راية الحكم لإبنه "بشار الأسد", وقد وجد الرئيس الجديد نفسه أمام تحدياتٍ لا حصر لها, فمن فرص استعادة الجولان شبه المعدومة, إلى الخوف من إنفجار الوضع الداخلي من جديد كما حدث في الثمانينات,وصولاً إلى مواجهة سعي الإدارة الأمريكية في مدّ نفوذها لكامل الشرق الأوسط, كان على سوريا مواجهةُ كل تلك المصائب, وباتت المسؤولياتُ الخانقةُ تؤرق الرئيس السوري منذ يومه الأول في الحكم.

ورِثَ بشار الأسد عن أبيه وضعاً سياسياً –اقتصادياً –اجتماعياً –مؤسسياً حرجاً, ومشكلاتٍ اجتماعيةً –سياسيةً معقدةً وكبيرةً غير محلولة؛ فهي مرنةٌ ذاتُ طبيعةٍ اجتماعيةٍ –اقتصاديةٍ –سياسيةٍ من جهةٍ أولى, ومن جهةٍ ثانية صلبةٌ ذاتُ طبيعةٍ جيو–سياسيةٍ معقّدة, على خلفيةِ استمرار محاصرةِ العراق واحتلاله, والاجتياح الإسرائيلي للبنان في تموز 2006, وتجريمُ الإنتفاضةِ الفلسطينية, (وغيرها مما سبق الباحث ذكره من تراكماتٍ لا حصر لها). وتُفهم انفجاجاتُ هذه التحديات الصلبة في ضوء ما تشرحه "نظريةُ الفوضى", وهي أن تطوّرَ منطقة الشرق الأوسط لا يجري وفقَ قواعدٍ مضبوطةٍ يمكن التنبؤ بها والتحكم فيها, بل يتم بأسلوبِ المفاجآت والقفزاتِ والزلازل السياسية. (محمد باروت, 2012, ص29)

كانت الحرب على أفغانستان خريف 2001 فرصةً لتحدد الولايات المتحدةُ المدى الأقصى الذي تطمح إلى السيطرةِ عليه في الشرق الأوسط, وكان من شأن الحرب على العراق أن تشكّل لها مناسبةً لإعطاء عمقٍ لهذا الشرق الأوسط. إطافةً إلى السيطرةِ على النفط, كانت الخطوة التالية إسقاط أو تطويع النظامين السوري والإيراني. وقبل ذلك بعامٍ ونيف انسحبت إسرائيل من جنوب لبنان بغيةَ إغلاق جبهةٍ عربيةٍ مفتوحةٍ ضدها لم تكن تكبّدها سوى الخسائر, وكذلك لإسقاط ذريعة المقاومةِ وإجبار سوريا على تطبيق القرار رقم 1559 الذي صدر قبل أربعة أعوام, والذي طالب القوات السورية بالإنسحاب من الأراضي اللبنانية. وبعد انسحاب القوات الإسرائيليةِ في أيار من العام 2000, وتلاها مطالبٌ لبنانيةٌ بانسحاب القواتِ السوريةِ من لبنان استمرت حتى العام 2005 عندما استجابت سوريا لهذا الطلب. (جمال واكيم, 2011, ص186)

وقد أدت الظروف الدوليةُ بعد اجتياح العراق في العام 2003 من سعي سوريا وإيران لإقامةِ تحالفٍ فيما بينهما, فكانت إيران تعاني ضغوطاً دوليةً وتهديداتٍ شديدةٍ على أمنها القومي والاقتصادي بسبب برنامجها النووي, أما سوريا فقد وجدت في إيران أقوى حليفٍ يمكن الاعتماد عليه, خصوصاً بعد تردي علاقتها مع دول الخليج العربي مؤخرا لعدةِ أسباب.

وبهذه الصفحات السابقة –وإن بدى الباحث مبالغاً في كمّها– تكون الصورةُ مكتملةً حول التاريخ الجيوسياسي للجمهورية العربية السورية, وحول موازين القوى الإقتصادية والطائفية والسياسية في سوريا والتي سبقت إندلاع النزاع المسلح الداخلي الحالي, والتي لا يمكن المرور عنها مرور الكرام, فما يحدث اليوم ليس سوى نتاجِ سنواتٍ وسنوات, ولتوضيح خارطة توزيع الولائات والطوائف في سوريا والتي بدأت تتغير منذ نهاية الحقبة العثمانية واستمر تأثيرها حتى يومنا هذا.

بداية الأزمة

لم يكن للمطّلعين على التاريخ الجيوسياسي لسوريا أن يتفاجئوا بشدةٍ من الحراك السوري الذي بدأ في في العام 2011, حيث بدأت الحراكات تُسقِط زعيماً تلو الآخر كما لو أنهم حجارةُ دومينو, فمن تونس إلى مصر, ومن مصر إلى ليبيا, ومن ليبيا إلى اليمن, ناهيك عن حراكاتٍ أقل صدىً في دولٍ أخرى, وعُرِفَتْ هذه الأحداث "بالربيع العربي", ويُفضّلُ الباحث تسميتها "بالحراك العربي"؛ كوّن الإسم الثاني أكثرُ حياديةً من الأول.

اندلعت في سورياً منذ شباط من العام 2011 اعتصاماتٌ وتجمّعاتٌ بعضها منظّمٌ من مجموعاتٍ شبابية, عبر الإتصال المباشر ومواقع التواصل الإجتماعي, وبعضها تجمهريٌ عفوي. وقد جرت هذه الأحداث في المدن "المئة ألفية" الصغيرة, وبعض مراكز المدن في المنطقتين الوسطى والساحلية, في حين بقية المدن المليونية الكبرى في منأىً عن هذه الاحتجاجات؛ حيث كانت الإحتجاجاتُ أكثرُ شدّةً في المدن الطرفيةِ والمهمّشة. وما يفسّر ذلك سردُ الباحِثِ في الفصول السابقة لخارطة التكوين الجيوسياسي في سوريا, حيث ذكر الباحث عن أن سوريا دولةٌ مشرذمةٌ وأن كل إقليمٍ منها تقريباً يدين بالولاء لقوىً خارجيةٍ مجاورة. على غرار ما حدث في البلدان العربيةِ الأُخرى التي تملأ الحراكات شوارعها, فإنّ الشباب هم من ألّف عماد الأحداث والتجمّعات. وبدأت الأحداثُ بشكلٍ سلميٍ على شكل مطالبِ الحريّة, ومطالبٌ وطنيةٌ ومحليةٌ تنمويةٌ وديموقراطية, وكان بعض تلك المطالبِ ثقافياً محافظاً, وكان الجامعُ الأكبر لتلك المطالب هو الحريّة. (محمد باروت, 2012, ص21 و23)

أخذت الحركةُ الاحتجاجيةُ تتشارعُ بشكلٍ بوتيرةٍ دراماتيكيةٍ داميةٍ ومفجعة, وكشفت عن حجم الاحتقان العام المتراكم والمكبوت, والمنفتح على احتمالاتٍ شتّى ابتداءاً بالمخرج الوطني التوحيدي نحو التحول الديموقراطي, أو الإصلاح المؤسسي الاقتصادي والسياسي والاجتماعي الشامل, أو التمزّق الإثني والقومي والطائفي, وصولاً إلى تدخلاتٍ مباشرةٍ أو غير مباشرة, من أطرافٍ خارجيةٍ تكون ذات أهدافٍ وتطلعاتٍ تختلِفُ عن تطلعاتِ السوريين, وتتصلُ بتصفيةِ حساباتٍ جيو–سياسية مع النظام السوري, ودوره الإقليمي. (محمد باروت, 2012, ص24) وحسب ملاحظات الباحث فإن الإحتمال الأخير قد بات واقعاً, وأصبحت التدخلات الخارجيةُ غير المباشرةِ في سوريا أمراً واضحاً للعيان.

في أواخر كانون الثاني من العام 2011, وأثناء تطور مجريات الحراك المصري في "ميدان التحرير", دعا نشطاءُ سوريون تصدّرهم الناشط "محمد النجار *" إلى اعتصامٍ يومي الرابع والخامس من شباط عام 2011 في ساحة سعد الله الجابري, أمام مبنى مجلس الشعب في سوريا. فاحتوت السلطةُ الدعوةَ

***محمد غسان النجار**: الناشط المنحدر عن «تنظيم الإخوان المسلمين» والذي قضى قرابة ١٢ عاماً في السجن بعدما اعتقل إبان حركة النقابات المهنية والعلمية في الثمانينات, وهو مؤسس «التيار الإسلامي الديموقراطي».

من خلالِ تفاهمها مع قوى المعارضةِ السورية (الكرديةِ منها والعربية) في الداخل على عدم المشاركةِ في أيّ دعوةٍ للاعتصام, مقابل العمل على إنجازِ الإصلاح بواسطةِ الحوار. وهذا ما التزمت به تلك القوى, فقاطع مجلسا الأحزاب السورية والكردية الإعتصام, بينما لم يبدر من قوى التجمعِ أيُّ محاولةٍ منظمةٍ لدعمه, وفي الرابع من شباط 2011 تمخّضت دعوةُ الناشطين إلى الاعتصام عن ساحاتٍ خاوية, فلم تتحقق غايتهم المنشودة. (زياد حيدر, 2011)

قامت السلطاتُ برفع الحظر عن "الفيسبوك Facebook" وغيره من مواقع التواصل الإجتماعي, والتي اعتبرت من أكثر العوامل التي ساهمت في إلهاب الحراكين المصري والتونسي آنذاك, ولها فوائدٌ أمنيةٌ مثل معرفةِ هويةِ النشطاء, كذلك لهذه الخطوةِ تعبيرٌ سياسيٌ عن وجه الدقّة الفرضيةِ التي تبناها الرئيس بشار الأسد في أواخر كانون ثاني من العام 2011, حين قال أن الشرق الأوسط يشهد عملية تغييرٍ لا يمكن التكّن بنتائجها, وأن الصعوبات التي تواجهها سوريا أكبرُ مما واجهته تونس ومصر, لكن مع ذلك فهي مستقرةٌ بسبب توافقها مع معتقدات الشعب في السياسة الخارجية, وفسّرَ الأسدُ الإحباط بعواملَ خارجيةٍ وداخلية, وعلّق القيام بعمليةٍ إصلاحٍ جديةٍ تتخطى حدود العمليات التجميلية, أو حدود ردِّ الفعل على ما حدث في تونس ومصر. (ديبرس,2011)

وأشار الأسدُ أيضاً إلى أن عمليةَ إقرار قانون العمل بسوريا اقتضت خمس سنوات, وأنّ هناك قوانين أخرى على وشك الصدور قبل نهاية عام 2011 (هما قانونا المجتمع المدني, وقانون الإدارة المحليّة), وأشار أن الإصلاحاتِ تحتاجُ إلى وقتٍ طويلٍ جداً, وكما قال: "فإن علينا أن ننتظر حتى الجيل القادم لنحقّق هذا الإصلاح". وما كاد الأسدُ يطلقُ هذه الرؤيةَ حتى سقط الرئيس المصري "محمد حسني مبارك" في 12 شباط, ويليها بدءُ الحراكِ الليبيِّ العنيف في 17 شباط, حتى أوشكت أصداءُ هذه الأحداث أن تصل إلى سوريا.

في 19 شباط 2011, هبَّ المارّةُ في في حيّ "الحريقة" التجاريّ التقليدي بدمشق, لنصرةِ شابٍ تعرّض لإهاناتٍ وصفعاتٍ من شُرطيّ مرور, وتجمهرَ الناس بشكلٍ عفوي, وسط هتافاتٍ بجملٍ مثل: "حاميها حراميها", و "الشعب السوري ما بينذلّ", و "لا إله إلا الله". احتوى وزير الداخلية السوري الأزمةَ سريعاً عن طريقِ نُصرةِ الشاب المُضطَهَد, وزجّ الضبّاط الذين قاموا بفعلتهم بالسجن, لتتحوّل الهُتافاتُ إلى: "بالروح بالدم نفديك يا بشّار", ويعكس هذا النمط من الهتافات ما يمكن تسميته

"بإحباط الجَمهَرة" المحتقنة من العلاقة المتسلطة بين الدولةِ والمجتمع. (محمد باروت, 2012, ص176)

ومع تطورِ الأحداث في ليبيا, اعتصم بضعُ مئاتٍ من الشبان السوريين في 22 شباط أمام السفارةِ الليبية بدمشق, رافعين شعار "خاين اللي بيقتل شعبه" (ديبرس,2011). تلاهُ في 16 آذار اعتصامٌ أمام وزارة الداخلية, لناشطي الحريّات وحقوق الإنسان وأهالي المعتقلين, ونجح الإعتصامان لكونِ من شاركَ بهما هم أفرادٌ مدرَّبين سياسياً ورمزياً, وسجّل الإعتصامان انتصاراً رمزياً لحساب ديناميكيةِ الشباب المنخرط في حركةِ الحريّاتِ والدفاع عن حقوق الإنسان بأساليبَ عَصرِيّة.

وأما القيادة السورية فقد انهمكت لاحتواءِ أزمةٍ توشكُ أن تحدُث, فأجروا اتصالاتٍ مع من يمكن وصفهم بأصحاب الرأي المستقلين, والقريبين من السلطةِ والقيادات. وتتلخّصُ اتصالاتهم في تنازلٍ محدودٍ قدمته السلطة, وتمثّل بصدورِ مرسومٍ في السابع من آذار عام 2011 بالعفو عن جميع مرتكبي الجرائم الصغرى قبل تاريخ صدور المرسوم, إلا أن العفو لم يشمل المعتقلين السياسيين, لكنه نصّ في الوقت نفسه على العفو عن من تجاوزت أعمارهم السبعين عاماً.

دعا النشطاءُ عبر صفحات الفيسبوك ومواقع التواصل الإجتماعي وغيرها من الوسائل إلى التظاهرِ في 15 آذار 2011 (وهو التاريخ الرسمي لبدء الحراك السوري), للمطالبةِ بالحقوق والحريّات الديموقراطية, وكان اختيار شهر آذار يُراعي بشكلٍ خاص محاولة جذب الناشطين الأكراد المتبرّمين من تسويات قيادات الأحزاب والعشائر الكردية مع السلطة بعدم مشاركتهم في حركات التظاهر والإعتصام, لكون شهر آذار يشهد سنوياً إحياء ثلاثةِ مناسباتٍ للأكراد (ذكرى حلبجة في شمال العراق, ذكرى أحداث القامشلي في سوريا, عيد النيروز التقليدي القومي). إلا أن الأحزاب الكردية الإحدى عشر لم تلبي الدعوة لعدةِ أسبابٍ منها القلق من أن يتم اعتبارُ الحركةِ ذات بعدٍ قومي, ويتم تسويقها على أنها مشكلةٌ كرديةٌ–عربية, وكذلك بسبب ترقّب قواهم السياسيةِ تلبية النظام لوعوده بتحقيق المطالب الكردية الملحّةِ بأسلوبِ التفاهم وليس أسلوبَ الضَغط. (محمد باروت, 2012, ص179–182)

حريق درعا

في 12 آذار 2011 قام ناشطون بكتابةِ شعاراتٍ مكرّرةٍ (وصِفَت بالتحريضية) على جدران المدارس, والشوارع العامة, وبعض البنايات, في عدة محافظاتٍ سورية ومنها درعا, مثل: "جاك الدور يا دكتور", و "الله, سوريا, حرية, وبس" رداً على شعار "الله, سوريا, بشّار, وبس", وهذا ما يشير إلى الطابع المنظّم الذي يتعدى حدود المحاكاةِ العفويّة. أوقف جهاز الأمن السوري نحو 70 مشبوهاً, ثم استبقى منها 15 موقوفاً معظم أعمارهم دون الـ15 سنة, وبعضهم دون 12 سنة. لم تجدي توسلات أمهاتِ الأطفال نفعاً, وحاول شيوخ العشائر في درعا حلّ المعضلةِ عشائرياً إلا أن جهودهم لم تفلح, إضافةً إلى تعمّدِ إثانتهم من رئيس فرع المركز الأمنيّ هناك, وخرجَ ما عُرِفَ "بحريقِ درعا"؛ كردٍّ طبيعيٍّ للذلِّ والقهرِ الذي تعرّض له شيوخ العشائر في درعا. (محمد باروت, 2012, ص183)

يوم الجمعة 18 آذار 2011, انطلق أهالي درعا في ما سُمّيَ "جمعة الفَزعة*", حيث توجّة المتظاهرون –وفي مقدمتهم أهالي الأطفال الموقوفين– إلى الجامعي العُمَرِي, وهم يصرخون هتافاتٍ مثل: "وينكم يا أهل الفَزعة؟", و يهتفون: "الله, سوريا, حرية, وبس!", و "ما في خوف بعد اليوم!". وتوجهوا نحو فرع الأمن السياسيّ في المدينة لحرقه, وتحولت موجةُ غضبهم على الإضطهاد والذلّ الذي تعرّضوا له, إلى انتفاضةٍ شعبية. ويرى الباحث أن عدم احتواء الحكومةِ السوريةِ لما حدث في درعا, وعدم السعي إلى التفاهم من وجهائها وإرضائهم (بسبب التهميش الروتيني للمدينة), هو ما سببّ انفجار الأوضاع فيها, ولو فعلت الحكومةُ كما فعلت في حادثة "الحريقة" فعلى الأرجح لاتخذت الأحداثُ منحىً مختلفاً.

انهارت القوّةُ الأمنيةُ أمام السيل البشريّ الغاضب, وبعد نحو ساعتين أي عند الساعة الثالثة والنصف من تلك الجمعة, حطّت أربع مروحياتٍ استدعاها رئيس فرع الأمن السياسيّ في درعا, تحمل جنوداً مختصّين بمكافحة الإرهاب بزيٍّ أسود –خالهم المتظاهرون أنهم عناصرٌ من حزب الله– بدؤا بإطلاق النار على المتظاهرين, فسقط منهم على الفور عشراتُ القتلى والجرحى, ومنع رئيس الفرع سيارات الإسعاف من نقلهم, فتم نقلهم إلى الجامع العمري حيث أنشأ المدنيون مستشفىً ميدانياً. (محمد باروت, 2012, ص185–186)

***الفزعة:** هي المنحى المحلي لديناميكية التضامن العشائري والمناطقي, وهي ديناميكيةٌ دفاعيةٌ جماعية, ستتكرر لاحقاً في المدن المتوسطة والصغيرة التي تعرّض أهلها للإضطهاد خلال الأحداث, وتتسم ديناميكية الفزعة بكونها ديناميكيةً تعبوية.

وصل وفدٌ أمنيٌ رفيع المستوى برئاسة "اللواء هشام اختيار" –رئيس مكتب الأمن القومي– إلى درعا, وفي تلك اللحظات برز أحدُ الأشكال الأولى لارتباك الأمن السوري بين استخدام القوةِ الناعمة أو الحلّ الأمنيّ باستخدام القوةِ القاسية. وحاول "اختيار" المعروف بقدرته على إدارةِ الأزمات أن يطفئ نيران "حريق درعا", وبدأ حواره مع وجهاءِ درعا, واتفق معهم على عددٍ من النقاط (13 نقطة منها اقالةُ رئيس فرع الأمن السياسي, محافظ درعا, ومطالبٌ اقتصادية كتخفيض سعر المحروقات). وعندما بات الأهالي ينتظرون تنفيذ مطالبهم, باغتتهم مجموعةٌ من المسلحين الملثمين على دراجاتٍ نارية بعد ساعاتٍ من تفاهم "اختيار" مع وجهاء درعا, وأطلقوا النار على المتظاهرين, فقتلوا أربعةً منهم, واتهم المتظاهرون الحكومةَ بافتعال هذه الحادثة, فيما قالت المصادر الرسميةُ أن الفاعلين هم بعض المندسّينَ من بين المتظاهرين يهدفون لإثارة الفوضى والشغب –على حدّ تعبيرهم–, قبل أن تعيد صياغة خطابها لتصفهم بطرفٍ مسلحٍ ثالث.

في اليوم التالي 19 آذار 2011, ألّفت الحكومةُ لجنةً من وزارة الداخليةِ للتحقيق في أحداث درعا, ووعدت باتخاذِ الإجراءات اللازمة, ومحاسبةِ كلّ من يثبت تورّطه في إحداثِ أيّ إساءةٍ في تلك الأحداث. لكن ذلك لم يُشفي غليل الأهالي؛ فقد توقعوا قيام الرئيس نفسه بتقديم التعزيةِ والاعتذارِ للأهالي, إضافةً إلى بقاء رئيس فرع الأمن السياسيّ, والمحافظ طليقين في بيتيهما, بينما طالب الأهالي في اتخاذِ إجراءاتٍ بحقهما. فاستمرت الاحتجاجات. (محمد باروت, 2012, ص187 و190) ويرى الباحث أن الحراك بدأ يأخذُ شكلاً تنظيماً ورمزيةً في درعا, خصوصاً حين قام المتظاهرون يوم 20 آذار بتدمير نصب الرئيس السابق حافظ الأسد.

توسّع دائرة الأزمة

كما ذكر في الصفحات السابقة, فإن سوريا دولةٌ مقسّمةٌ يتبعُ كلٌّ إقليمٍ منها (تقريباً) لأقاليم خارج حدودها, ولكل محافظةٍ أو مدينة أو محافظةٍ أو قريةٍ أو حزبٍ أو طائفة أسبابها التي تدفعها للإنسياق في دائرةِ الاحتجاجات التي أصبحت كفيروسٍ ينتشر في كافّةِ أنحاء سوريا, ومن درعا كانت البداية التي ألهمت وألهبت مشاعر السوريين.

حاول الأسدُ الاستفادةَ من المواقف الروسيةِ والإيرانيةِ والصينيةِ التي دعمته لمواجهةِ

الضغوط الغربية التي بدأت باستغلال الأزمةِ لتحقيق أهدافٍ استراتيجيةٍ وسياسية, فسارع باتخاذِ جملةٍ من القرارات لاستيعات حركةِ الاحتجاج الداخلية, فأعلنت مستشارته "بثينة شعبان" في 24 آذار عام 2011 عزمه على القيام بإصلاحاتٍ سياسيةٍ تتضمن إنهاء حالة الطوارئ القائمة منذ عام 1963, ومحاربة الفساد, وإصدارِ قانونٍ جديدٍ للأحزاب يسمح بالتعددية الحزبية, وتشريع قانون الإعلام للسماح بحريات إعلاميةٍ أكبر, إضافةً إلى زيادةِ رواتب موظفي القطاع العام واستيعاب العاطلين عن العمل وتقديم حزمةٍ من التقديمات الاجتماعية. تلا ذلك إطلاق السلطات السوريةِ لعددٍ كبيرٍ من المعتقلين السياسيين بينهم أعضاءٌ من حركة "الإخوان المسلمين", إضافةً لإصدار قرارٍ يحلُّ مشكلةَ الأكراد المطالبين بالجنسيةِ منذ عام 1960, وتشكيل حكومةٍ جديدة, وإعادة السماح للمنقبات بالعودة للتدريس في المدارس الحكومية, وإلغاء محكمة الدولة العليا, والسماح بالتظاهر السلمي, وتشكيلُ قانونٍ جديدٍ للانتخابات يسمحُ بحريةٍ أكبر في العمل السياسي. (جمال واكيم, 2011, ص212) لكن عديداً من العوامل لم تنجح مبادرة "الأسد", وكان الأوان قد فات.

اشتدت المظاهراتُ في عدّةِ مدنٍ سورية, وواجهها الجيشُ السوري –الذي بدأ تدخّله في الأحداث– وقواتُ الأمن المختلفة بعنفٍ شديد, وفي درعا وقراها فقط وصل عدد القتلى من المحتجين يوم 24 آذار 2011 إلى الـ100 قتيل حسبما أفادت مصادرٌ لحقوق الإنسان. (روسيا اليوم, 2011) وبعد أن أصبح برنامجُ كلّ يوم جمعةٍ حافلاً في العديد من المدن السوريةِ بمظاهرات الغضب, واجتاحت التظاهرات جميع المدن السوريةِ تقريباً. وحصلت تحركاتٌ دبلوماسيةٌ وضغوطٌ عربيةٌ ودوليةٌ على النظام السوري, وقامت دولةٌ عربيةٌ بسحب سفرائها.

في أوائل يونيو 2011 أعلن "المقدّم حسين هرموش" انشقاقه عن الجيش السوري, وأسّس أول تنظيمٍ عسكريٍ للمنشقّين أسماه "حركة الضباط الأحرار" (الجزيرة.نت, 2011), ليعلنَ مرحلةً جديدةً من الأزمة وهي الصدامات المسلّحة. وفي 29 يوليو ولدَ تنظيمٌ ثانٍ وهو "الجيش السوري الحرّ" بقيادة العقيد المنشقّ "رياض الأسعد" (نوّرت, 2011), ولكن لم تحدث معاركٌ بالمعنى الحقيقي إلا في 27 سبتمبر 2011 عندما اندلعت معركة "الرستن وتلبيسة" بين تنظيم "الجيش السوري الحرّ" والجيش النظامي. (الشرق الأوسط, 2011) واستمرت الأحداثُ بالاشتعال لتشمل كافة أنحاء سوريا, لتزيدَ الأمور تعقيداً.

النزاع المسلّح الداخلي

هكذا تحول الحراكُ السوري من تظاهراتٍ واحتجاجاتٍ شعبيةٍ سلميةٍ إلى نزاعٍ مسلّحٍ داخلي (حربٍ أهلية), فالنزاع المسلّح الداخلي (الغير الدولي) Non International Armed Conflict هو نزاعٌ يجري على أراضي دولةٍ واحدة, بين قواتها المسلّحة وقواتٍ مسلحةٍ منشقّةٍ أو جماعاتٍ مسلحةٍ منظمةٍ أخرى, تمارسُ تحت قيادةٍ مسؤولة سيطرتها على الأرض, بصورةٍ تمكّنها من تنفيذ عملياتٍ مسلحةٍ متواصلةٍ ومنسّقة. (فرانسواز سولنييه, 2004, ص625)

ولو قمنا بمقاربة ما يحدث الآن في سوريا (يوليو 2013), لوجدنا أنه يوفي عناصر النزاع المسلّح الداخلي, فعناصر الحرب هي قيامُ صراعٍ مسلّح, وتمحّضُ أطرافِ الصراع في الدول أو غيرها من أشخاص القانون الدولي, إضافةً إلى إتجاه إرادةِ تلك الأطراف إلى قيام حالةِ الحرب وما ستتبعه من تطبيق قانون النزاعات المسلّحة الدولي (حازم عتلم, 2008, ص18), وهذا ما وجِدَ في سوريا.

وخلاصةُ ما يريد الباحث قوله في هذا المبحث, أن جذور النزاع المسلّح الداخلي القائم في سوريا ليست جديدة, بل تعود جذورها لسنواتٍ طويلة, ولم يركّز الباحث كثيراً على النزاع كما ركّز على ما سبق النزاع؛ فالنزاعُ لازالت مجرياته قائمةً ولم تنتهي حتى الآن, وهي غنيةٌ بالمفاجئآت, ورغم أهميةِ أحداث النزاع إلا أنها ليست بقدر أهميةِ الوضع الجيو–سياسي لسوريا, والذي أوصل النزاع إلى هذه المرحلة التي تجاوز فيها عددُ القتلى الـ70 ألفاً, وتجاوز عدد النازحين المليونين (حتى أغسطس 2013). (روسيا اليوم, 2013)

الصور والأشكال

صورة رقم 01: المسجد الأقصى تحت الحصار (عدسة الباحث)

صورة رقم 02: الفتاة الأفغانية (عدسة ستيف ماكري)

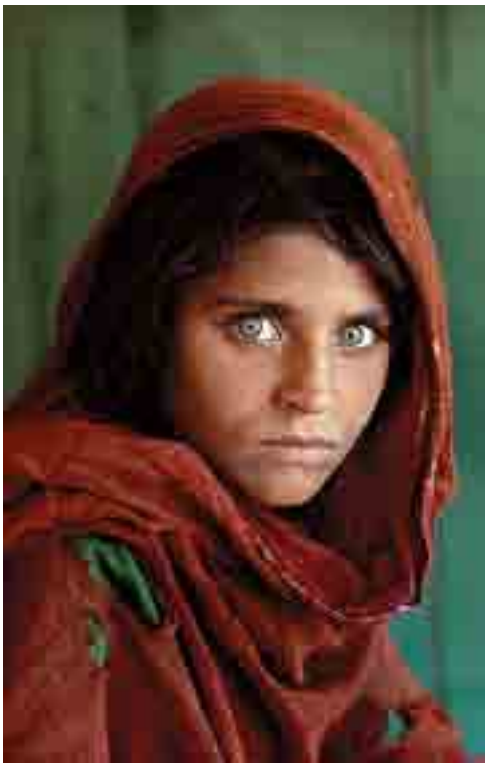

الصور والأشكال

صورة رقم 03: مثال على التطابق في بعض الصور بين هآريتس والعرب.